جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الرحمة الإلهية
(دراســــة قرآنيــــــة)

إعداد
عمران عزت يوسف بخيت

إشراف
د. محسن سميح الخالدي

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ـــ فلسطين
2009م

الرحمة الإلهية

(دراســــــة قرآنيــــــــة)

إعداد

عمران عزت يوسف بخيت

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 1/ 4 /2009مـــ وأُجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. محسن الخالدي (مشرفاً)	....
د. إسماعيل نواهضة/ ممتحنا خارجيا	....
د. عودة عبد الله/ ممتحنا داخليا	....

الإهداء

إلى المعلم الأول، والمبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ...

الى أصحابه الأنصار والمهاجرين الذين سطروا أبهى صور الرحمة والتعاطف...

إلى روح والدي المغفور له بإذن الله الذي رباني صغيراً وتعهدني كبيراً...

إلى أمي الحنونة، والى زوجة أبي الغالية...

إلى زوجتي المخلصة الوفية، التي بذلت الغالي والنفيس من أجل إتمام هذه المرحلة العلمية...

إلى ولدي الحبيب مصعب...

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء...

إلى أساتذتي الأفاضل، الذين ارتشفت من ينابيع علمهم...

إلى الأحباب والأصحاب...

إليهم جميعا أهدي هذا البحث...

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة، الدكتور: محسن الخالدي، قسم أصول الدين، على ما أبداه من ملحوظات وتوجيهات قيمة، كان لها كبير الأثر في إثراء هذه الرسالة.

كما وأشكر عضوي لجنة المناقشة، الدكتور: إسماعيل نواهضة: مناقش خارجي، والدكتور: عودة عبد الله: مناقش داخلي.

والشكر موصول إلى كافة الأساتذة الأفاضل في كلية الشريعة الذين تلقيت عنهم أشرف العلوم وأصدقها.

ولا أنسى بالشكر، كافة العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، الذين كان لهم الدور الأكبر في إرشادي للرجوع إلى المصادر والمراجع.

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الرحمة الإلهية
(دراســـــة قرآنيـــــــة)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	**اسم الطالب: عمران عزت يوسف بخيت**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ: / /2009مـ**

فهرست المحتويات

الرحمة الإلهية

(دراســـــة قرآنيـــة)

إعداد

عمران عزت يوسف بخيت

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

موضوع الرحمة الإلهية من المواضيع التي اهتم بها القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، حتى شملت مفرداتها كثيراً من آياته، كل آية جاءت لتكشف عن جانب مشرق من جوانب هذا الدين، أو لتدفع بعض الشبهات عنه بأنه دين الإرهاب والعنف، لذلك فقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة فصول.

في الفصل الأول: تحدثت عن مفهوم الرحمة لغة واصطلاحاً مع بيان العلاقة بين الرحم والرحمة، ومن ثم الحديث عن نظائر الرحمة في القرآن الكريم.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن أسباب الرحمة الإلهية من خلال استقراء الآيات القرآنية ذاكراً خمسة عشر سبباً للرحمة الإلهية.

وفي الفصل الثالث: تحدثت عن بعض معالم الرحمة الإلهية ومظاهرها في القرآن الكريم ضارباً لذلك أمثلة من العبادات والمعاملات والعقوبات في الشريعة الإسلامية.

وأما الفصل الرابع: فقد ختمت فيه البحث بالحديث عن بعض موانع الرحمة الإلهية، كالشرك والفساد والمعاصي والنفاق.

مقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنه مما لا شك فيه أن كل مؤمن تشرئب نفسه إلى أن يبحث في كتاب الله عز وجل وأن يكتشف ولو جزءاً يسيراً من كنوزه المترامية الأطراف بين ثنايا مواضيع القرآن المختلفة.

إن كل موضوعات القرآن بالغة الأهمية، وهي كفيلة بتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، وذلك أن القرآن إنما جاء ليكون دستوراً ومنهاجاً للإنسان وليرشده للطريق المستقيم حتى تنتظم فيه حياته في كل جانب من جوانبه.

ومن بين هذه المواضيع موضوع الرحمة الإلهية، فالإسلام دين الرحمة ورحمة الله وسعت كل شيء وسعت القريب والبعيد والكافر والمؤمن والإنسان والحيوان وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة أن لله مائة رحمة جزء منها رحمة يتراحم بها أهل الأرض جميعاً من إنسان وحيوان وطيور،[1] فكل ما نراه على وجه الأرض من مودة وتعاطف إنما هو أثر من آثار رحمة الله التي أودعها في قلوب مخلوقاته.

والرحمـة هي صفة الرب جل وعـلا.

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ عِندَهُمْ﴾[3].

---

[1] أنظر مسلم، أبا الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت 261هـ): **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط2 1972مـ، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله، حديث رقم (19) (4/ 2018) وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (مسلم، صحيح مسلم).

[2] سورة الأنعام: الآية الكريمة رقم (54).

[3] سورة الأعراف: الآية الكريمة (156).

ولأهمية هذه الصفة فقد اهتم القرآن بها اهتماماً بالغاً، حتى إن القارئ في كتاب الله عز وجل لا يكاد يمر على بعض الآيات أو الصفحات إلا ويجد فيها ما يصرح أو يشير إلى موضوع الرحمة الإلهية.

والرحمة هي الغاية العامة التي بعث النبي ﷺ لتحقيقها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وهـ ي شـ عار القـ رآن وعنوانه، فقـ د قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[2].

والرحمة سمة هذا الدين في كل جانب من جوانب الحياة، في عقيدته وشريعته، في أخلاقه وعباداته ومعاملاته وعقوباته، فهي رحمة امتدت لتشمل الدنيا والآخرة، لذلك فما أحوج الإنسانية في كل زمان ومكان أن تستشعر معالم هذه الرحمة وتترجمها إلى واقع حي في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...، وذلك حتى تكون أهلا لنزول رحمة الله عليها.

من هنا جاءت هـ ذه الدراسـ ة بعنوان **(الرحمة الإلهية)**، من حيث المفهوم والأسـ باب والمظاهر والآثار.

وإنني أسأل المولى عز وجل أن يكتب لنا الإخلاص والسداد والتوفيق، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم القيامة إنه الرحمن الرحيم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق والتحري في الدراسات القرآنية لم يقع بين يدي مؤلف أو دراسة قرآنية أفردت موضوع الرحمة بشكل خاص، وإنما جل ما وقع عليه نظري في هذا الموضوع ما كان منثوراً في ثنايا الكتب التي تتحدث عن الأخلاق الإسلامية بشكل عام ومن هذه الكتب:

---

[1] سورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

[2] سورة يونس: الآيتان الكريمتان (57 58).

1. جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية، د. عادل العوضي، حيث تحدث عن معنى الرحمة بشكل عام ثم ذكر بعض نماذج الرحمة بين الناس، كالرحمة بالأبناء والمرضى والحيوان.
2. الأخلاق الإسلامية، علي فضل الله، حيث تحدث عن فضيلة صلة الرحم مع ذكر وتحليل بعض النصوص الواردة في هذا الشأن.
3. خلق المسلم للغزالي، حيث تحدث عن مجموعة من الأخلاق الإسلامية من المنظور الإسلامي العام.

فجاءت هذه الدراسة القرآنية لموضوع الرحمة الإلهية، لتتناولها من الجوانب التالية (الأسباب و المظاهر والآثار و الموانع).

أهميه الدراسة:

إن موضوع الرحمة الإلهية من المواضيع الهامة للإنسان، لأنها تدخل في كل جانب، من جوانب حياته من عبادات وأخلاق وسياسة واقتصاد واجتماع وغيرها، فالرحمة صفة تتعلق بالنفس البشرية وهي من الفطر التي فطر الله الإنسان عليها كما أن المسلم مطالب بأن يكون رحيماً في كل أحواله في السراء والضراء.

لهذا كانت هذه الدراسة للتعرف على حقيقة الرحمة التي أرادها الله عز وجل في الآيات القرآنية مـ ن خلال معرفـــة أسد بابها وآثارها حتى تكون خلقاً أسد اسد ياً للإذ سان، ونهجاً له في سلوكه وحياته.

مشكلة الدراسة:

1. كشف الغموض الذي أصاب فهم كثير من المسلمين الذين ظنوا أن الإسلام دين عنف وغلظة وشده، وأن المسلم مطالب أن يكون شديداً وحازماً في علاقته مع الآخرين، فجاء هذا البحث ليوضح عدم التعارض والتناقض بين الرحمة التي جعلها الإسلام سمة أساسية له وحث أتباعه على التخلق بها وبين حزم الإنسان وشدته وتمسكه بدينه.

2. دفع بعض الشبهات التي وجهت للإسلام بأنه دين الإرهاب والتعصب وسفك الدماء، والتأكيد على أن الإسلام دين التسامح والمحبة والسلام.

3. التأكيد على رسالة الإسلام ودعوة القرآن للتراحم والتعاطف والمحبة في زمن أصبحت البشرية تعيش فيه أسوأ فترات عمرها من الضنك والشقاء والظلم والبغي.

أهداف الدراسة:

1. حث المسلمين على الرحمة والتراحم واتخاذ القرآن دستوراً لهم في علاقاتهم مع الآخرين.
2. التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة، في زمان كثرت فيه الافتراءات على الإسلام.
3. التعرف على أهم الآثار والنتائج المترتبة على إشاعة خلق الرحمة بين الناس.
4. إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع جديد في التفسير الموضوعي للقرآن.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي للآيات التي تحدثت عن موضوع الرحمة بحسب الخطوات التالية:

1. استقراء جميع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع الرحمة الإلهية.
2. الرجوع الى أُمات كتب التفسير، محاولاً تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً.
3. إتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات وعزو الأقوال الى أصحابها.
4. ذكر الأحاديث الصحيحة التي لها علاقة بمواضيع الآيات، وعزوها الى مصادرها.
5. عند تكرار ورود المصدر أو المرجع، اكتفيت بذكر اسم الشهرة للمؤلف وللكتاب، مع ذكر رقم الصفحة والجزء إن وجد.
6. تقسيم الدراسة الى مقدمه وأربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول

مفهوم الرحمة ودلالاتها في القرآن الكريم

وفـ يه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الرحمة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الرحمة ودلالاتها في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم الرحمة في الاصطلاح القرآني.

المطلب الثالث: مفهوم الرحمة الإلهية.

المطلب الرابع: نظائر الرحمة في القرآن.

المطلب الخامس: المعاني المقترنة بالرحمة في فواصل الآيات.

المبحث الثاني: دلالات مصطلح الرحمة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة عشر مطلباً للرحمة الإلهية في الاستعمال القرآني:

المطلب الأول: النبوة.

المطلب الثاني: المطر.

المطلب الثالث: القرآن.

المطلب الرابع: الجنة.

المطلب الخامس: الرزق.

المطلب السادس: العصمة.

المطلب السابع: السعة.

المطلب الثامن: التوفيق.

المطلب التاسع: المودة.

المطلب العاشر: ذكر الرحمة بما يقابل كشف الضرّ.

المطلب الحادي عشر: ذكر الرحمة صفة لله عز وجل.

المطلب الثاني عشر: الشفاعة.

المطلب الثالث عشر: الشفقة والرقة.

المبحث الأول

مفهــوم الرحمـــــة

المطلب الأول: مفهوم الرحمة ودلالاتها في اللغة العربية:

مـ ن خـ لال البحث في أمات الكتب اللغوية عن مفهوم الرحمة، فإنك تجدها تجمع على معنى واحد وهو الرقة والعطف.[1]

"والرحم والرحمة والمرحمة بمعنى واحد"[2].

"والرُّحْم والرُّحُم والمرحمة بمعنى الرحمة"[3].

---

[1] ابن منظور، أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب،** دار لسان العرب، بيروت، بلا رقم وبلا سنة طبع، (1/ 1143) وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (ابن منظور: لسان العرب).

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة،** دار الفكر العربي، بلا رقم سنة 1978مـــ، تحقيق: عبد السلام هارون (2/ 498) وسيشار إلى هذا المصدر (ابن فارس: المعجم).

[2] ابن فارس: **المعجم** (2/ 498).

[3] ابن سيدة، علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، (ط1/ 1958مـــ) (3/ 253) وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (ابن سيدة: المحكم).

"والرحمة وإن كانت حقيقتها القلب وانعطاف النفس المقتضي إلى المغفرة والإحسان، فإنها لن تكون دائماً مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها في الخارج، بل إنها ذات آثار خارجية ومظاهر حقيقية تتجسم فيها في عالم الشهادة، فمن آثار الرحمة الخارجية العفو عن ذي الزلة، وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع ومواساة الحزين..."[1].

إذاً: فالرحمة ليست عبارة عن انفعالات وأحاسيس عاطفية داخل النفس فحسب، بل إن لها آثاراً واضحة للعيان في العلاقة بين الراحم والمرحوم، من هنا كان تعريف الراغب الأصفهاني للرحمة بقوله: "رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري تعالى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة"[2].

ويرى ابن عاشور بأن الرحمة وإن كانت هي من الكيفيات النفسية والانفعالات، إلا أن لها عند المتصف بها أفعالاً وجودية وآثاراً خارجية، فيقول: "واسم الرحمة موضوع في اللغة العربية لرقة الخاطر وانعطافه نحو حيّ بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضرّ عنه وإعانته على المشاق، فهي من الكيفيات النفسانية لأنها انفعال، ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صاحبها على أفعال وجودية بقدر استطاعته وعلى قدر قوة انفعاله، فأصل الرحمة من مقولة الانفعال، وآثارها من مقولة الفعل، فإذا وصف موصوف بالرحمة كان معناه حصول الانفعال المذكور في نفسه، وإذا أُخبر عنه بأنه رحم غيره، فهو

---

[1] الجزائري أبو بكر جابر: **منهاج المسلم**، مكتبة الإيمان، المقصورة، (بلا ط/ ت)، ص 122، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الجزائري: المنهاج).

[2] الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة بيروت، بلا رقم ولا سنة طبع تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص 191 وسيشار هذا المصدر فيما بعد (الراغب الأصفهاني: المفردات).

على معنى صدر عنه أثر مـ ن آثار الرحمة، إذ لا تكون تعدي ة فعل رحـ م إلى المرحـ وم إلا على هـ ذا المعنى، فلي س لماهي ة الرحمة جزئيات وجودي ة ولكنها جزئيّات من آثارها"[1].

وصور الرحمة التي يظهر أثرها في الوجود الخارجي كثيرة، نذكر منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله: وإنّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر"[2].

وأما بالنسبة لاسمي المولى عز وجل الرحمن الرحيم فقد دار سجال واسع بين العلماء حول أصل اشتقاقهما، فمن العلماء من قال إنهما بمعنى واحد، كندمان ونديم،[3] ولكنه جمع بينهما للتوكيد.[4]

والصواب والله أعلم أن الرحمن والرحيم وإن اُشتقا من الرحمة، إلا أنهما متغايران في الدلالة فالرحمن اسم مختص بالله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره،[5] ألا ترى أنه تبارك

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير** مؤسسة التاريخ، بيروت، (ط1/ 2000مـ)، (1/ 167) وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن عاشور: التحرير والتنوير).

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسـ ماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي: **صحيح البخاري**، (8 مجلدات) دار الفكر العربي، بيروت، (بلا ط/ بلا ت)، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (مج 2)، (3/ 77)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (البخاري: صحيح البخاري).

[3] انظر: ابن دريد، أبا بكر محمد بن الحسن، ت 321هـ : **جمهرة اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، مادة (رحم) (1/ 524)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن دريد: الجمهرة).

[4] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: **معاني القران**، جامعة أم القرى، مكة، تحقيق: محمد علي الصابوني، (ط1/ 1409هـ) (1/ 54)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (النحاس: معاني القرآن).

[5] الراغب الأصفهاني: **المفردات**، ص 192.

وتعالى قال ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾[1] فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره.[2] فكما أن (الله) اسم ليس لأحد فيه شركة، كذلك الرحمن.[3]

والرحمن أيضاً "صيغة مبالغة من الرحمة، معناها أنه انتهى الى غاية الرحمة، وهي أبلغ من فعيل وفعيل أبلغ من فاعل، لأن راحماً يقال لمن رحم ولو مرة واحدة، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن النهاية في الرحمة"[4].

وأما الرحيم فيستعمل في غير الله عز وجل، لمن كثرت منه الرحمة، ألا ترى بأن الله عز وجل أطلق لف ظ الرحيم على الرس ول ﷺ بقول ه ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[5].[6]

"ولعل في ذكر الرحيم بعد الرحم ن ما يفيد تخصيص ص المؤمني ن بزيادة الرحم ة بعد عموم رحمت ه في الدنيا والآخرة، فإن الله تعالى رحم ن الدنيا ورحيم الآخرة يرحم المؤمنين بالمغفرة وإدخالهم الجنة"[7]

---

[1] ســورة الإسراء: الآية الكريمة (110).

[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة (رحم)، دار العلم للملايين، بيروت، (ط2/ 1997مــ) (5/ 1929)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الجوهري: الصحاح).

[3] ابن دريد: **الجمهرة**، مادة (رحم) (1/ 524).

[4] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحد سان في تف سير القرآن**، مؤسسة الأعلى، بيروت، (بلا ط/ بلا ت) (1/ 21)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الثعالبي: الجواهر).

[5] ســورة التوبة: الآية الكريمة (128).

[6] الراغب الأصفهاني: **المفردات**، مادة (رحم)، ص 192.

[7] حسن، د. محمد الــسيد: **أسـ رار المعاني المثلى في أسـ ماء الله الحسـ نى**، المكتب الجامعي الحديث، الإسـ كندرية (ط3/ 2004مــ)، ص 40، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (حسن: أسرار المعاني).

وقال ابن عباس: "هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر"[1].

وخلاصة الأمر: أن الرحمن مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة التي لا نظير له فيها.[2]

العلاقة بين الرحم والرحمة: [3]

الرحم في اللغة: "علاقـ ـة القرابة، ثم سـ ـميت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأن منها ما يكون ما يراحم ويـ ـرق له من ولد "[4]

وقد استنتج الراغب من الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "قال الله تعالى: أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته"[5].

قال الراغب: "الرحم والرحمة مشتق بعضها من بعض"[6].

---

[1] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت: 852هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المنار، القاهرة، ترقيم: محمد فؤاد، (ط1/ 1999مـ)، (13/ 415)، وقال ابن حجر: الحديث المذكور عن ابن عباس لا يثبت لأنه من رواية الكلبي، والكلبي متروك الحديث، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن حجر: فتح الباري).

[2] انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمـن بن علي بن محمد: **زاد المـ ـسير في علم التفـ ـسير**، المكتب الإسـلامي، بيروت، (ط3/ 1404هـ) (1/ 9)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن الجوزي: زاد المسير).

[3] انظر: الخالدي، د. محـسن سـميح: **الرحم والرحمن بين الاشتقاق والتفسير**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 18 عدد (1) (2004مـ)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الخالدي: الرحم والرحمن).

[4] ابن فارس: **المعجم** (2/ 498).

[5] الترمذي، محمد بـ ـن عيـسى بن سـورة: **الجامـ ـع الصحيح**، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيـ ـق: كمال الحوت، (ط1/ 1987مـ)، (4/ 287)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم (1907) قال الترمذي حديث صحيح، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الترمذي: الجامع الصحيح).

[6] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **مقدمة جامع التفاسير**، دار الدعوة، الكويت تحقيق: أحمد حسن فرحات، (ط1/ 1984مـ)، ص 114.

وقال الحليمي: "فأصل قوله أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي، أن الرحمن والرحم اسمان مشتقان من الرحمة"[1].

ونقل ابن حجر عن الاسماعيلي أن هذا الحديث يدل على "أن الرحم أشتق اسمها من اسم الرحمن، فلها به علقة، وليس معناه أنها من ذات الله"[2].

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته"[3].

والمعنى: "أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله"[4].

المطلب الثاني: مفهوم الرحمة في الاصطلاح:

لقد عرف الكفوي الرحمة بقوله: "هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبـــدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"[5].

"والرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبــــــه، وبهـــــــا هداهـــم وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم"[6].

---

[1] الحليمي، أبو عبد الله الحـسين بـن الحـسن: **المـ نهاج في شـ عب الإيـ مان**، دار الفكـ ر، تحقيـ ق: حلمي فـ وده، (ط1/ 1399هــ) (8/ 278)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الحليمي: المنهاج).

[2] ابن حجر: **فتح الباري** (10/ 489).

[3] البخاري: **صحيح البخاري** (10/ 403).

[4] ابن حجر: **فتح الباري** (10/ 489).

[5] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هــ): **الكليات**، مؤسـ سة الرسالة، بيروت (ط2/ 1993مــ) ص 471، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الكفوي: الكليات).

[6] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بـــن يعقوب (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التمييز في لطائـ ف الكتاب العزيز**، المكتبة العلمية، بيروت، (بلا ط/ ت)، تحقيق: محمد النجار، (3/ 54)، وسيـــشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز).

"فالرحمة هي الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه، وبين الخالق ومخلوقاته القائمة على الطمأنينة، وهي قاعدة قضاء الله في خلقه ومعاملته"[1].

ولقد وردت مادة (ر. ح. م) في القرآن الكريم ثلاثمائة وثمان وثلاثين مرة، وإذا أضفنا لها البسملة التي في مقدمة سورة الفاتحة باعتبارها آية عند بعض العلماء فإنها تكون ثلاثمائة وتسع وثلاثين مرة على النحو التالي:

وردت بصيغة الفعل الماضي ثماني مرات:

رحم (4) - رحمه رحمنا رحمته رحمناهم.

وردت بصيغة الفعل المضارع أربع عشرة مرة:

ترحمون (8) يرحمكم (2) ترحمنا يرحمنا ترحمني يرحم.

وردت بصيغة فعل الأمر خمس مرات:

ارحمنا (3) ارحم ارحمها.

وردت بصيغة المستقبل مرة واحدة:

سـ يرحمهم.

وردت بصيغة اسم المرة مائة وأربع عشرة مرة:

رحمة (79) رحمته (25) رحمتك (3) رحمتنا (5) رحمتي (2)

وردت بصيغة المصدر مرتين:

---

[1] قطب، سيد إبراهيم: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، (ط13/ 1987مـ) (1/ 24)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (قطب: في ظلال القرآن).

المرحمة رحما.

وردت بصيغة اسم التفضيل أربع مرات:

أرحـ م.

وردت بصيغة اسم الذات اثنتي عشرة مرة:

الأرحام (9) أرحامكم (2) أرحامهن (1).

وردت بصيغة المبالغة مرة واحدة:

رحــماء.[1]

المطلب الثالث: مفهوم الرحمة الإلهية:

الرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فرحمة الله شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شئ أشرق معه شعاع الرحمة، كمـــا أن كثيراً من أسماء الله تبارك وتعالى ينبع منه الرحمة والعفو، لذلك كان من صلاة الملائكة لله عز وجل ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[2]. [3]

فإذا أضيفت الرحمة الى الإنسان فيراد بها حصول المبدأ للرحمة وهو الرقة أو المنتهي الذي هو التفضل والعطف أو الاثنين معاً، ولكن إذا أضيفت الرحمة إلى الله تبارك وتعالى فلا يراد بها إلا المنتهى الذي هـــو الفعل دون المبدأ الذي هو الانفعال، إذ إن الله تبارك

---

[1] انظر: عبد الباقي، محمـد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، لبنان بلا رقم ولا سنة طبع ص 306، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (عبد الباقي: المعجم المفهرس).

[2] ســورة غافر: الآية الكريمة (7).

[3] انظر: الغزالي، محمد: **خلق المـ سلم**، دار الكتاب الإسـ لامية، (بلا ط/ بلا ت)، ص 216، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الغزالي: خلق المسلم).

وتعالى منزه عن الانفعالات، فالرحمة من الله إحسان مجرد من الرقة، وإنعام وتفضل، ومن الآدميين رقة وتعطف.[1]

وأما الإمام الآلوسي فذكر أن الرحمة رقة خاضعة لتقلبات المزاج والعواطف، لكنها إذا أضيفت إلى الله تعالى فهي صفة لائقة بكماله جل وعلا فقال: "فلأن كون الرحمة في اللغة رقة القلب إنما هو فينا، وهذا لا يستلزم ارتكاب التجوز عند إثباتها لله تعالى، لأنها حينئذ صفة لائقة بكمال ذاته كسائر صفاته"[2].

وقيل: إن الرحمة صفة من صفات الذّات لله عز وجل، وصف بها نفسه، وأن المراد بها نَفْع من سبق في علمه أنّه ينفعه، فالرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده من صفات الفعل، وهي رقة على المرحوم، والله عز وجل منزه عن الوصف بذلك.[3]

المطلب الرابع: نظائر الرحمة في القرآن:

القرآن ينتقي ألفاظه ويختار كلماته، لما بين هذه الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها فيستخدم كل كلمة بدقة، بحيث تؤدي معناها في إحكام شديد، حتى يكاد السامع يؤمن أن هذه الكلمة إنما خلقت لهذا المكان بعيذ ه، وأي كلم ة أخرى لا تؤدي المعذ ى الذي أفادتـ ه أختها مـ ن الألفاظ.[4]

فكثير من الألفاظ يلمس فيها السامع للوهلة الأولى معنى الترادف، ولكن حاشى لكتاب الله أن يكون فيـــــــه ترادف، فمثلاً هناك بعض الألفاظ التي تكون بمعنى الرحمة ولكن القرآن عدل عن لفظ الرحمة إلى هذه الألفاظ لما لها من دلالة خاصة أو تناسب خاص مع السيـــــاق،

---

[1] انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات**، ص 122.

[2] الآلوسـ ي، أبو الفضل شـــهاب الدين الـــسيد محمود البغدادي (ت: 1270هــ): **روح المعاذ ي فـ ي تفـ سير القرآن العظيم والـ سبع المثاني**، دار الفكر، بيــروت، (بلا ط/ 1978مــ) (/) وســـيـــشار الى هـــذا المصدر فيما بعـــد (الآلوسي: روح المعاني).

[3] انظر: ابن حجر: **فتح الباري** (13/ 414).

[4] انظر: ساســـي، د. عمار: **المدخل إلى النحو والبلاغـ ة في إعجاز القرآن الكريـ م**، عالم الكتب الحديث، اربد، عمان (ط1/ 2006مـ) ص201، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (ساسي: المدخل إلى النحو والبلاغة).

بحيث لا ينـــــوب لفظ الرحمة عنـــــها، لأن المفردات إذا وضعت في كتاب الله فلا تنوب عنها غيرها، بحيث تكون دلالتها على المراد أبلغ وأفصح من مثيلاتها التي يظن الجاهل أنها تساويها في الدلالة والتعبير، ومن هذه الألفاظ التي وردت في القرآن وتحمل في طياتها معنى الرحمة: الرأفة والحنان.

أولاً: الرأفـــة:

وردت هذه الكلمة واشتقاقاتها في كتاب الله عز وجل ثلاثة عشر مرة، أحداها جاءت منفردة في سياق الكلام، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الرأفة في الآية الرحمة واللين،[2] والرأفة هي رقة خاصة تقع في النفس دون اختيار عند مشاهدة ضرّ بالمرؤوف به،[3] وهي أشد الرحمة أو أرقها[4].

لذلك إذا نظرنا إلى موضوعها في السياق، فإننا نجد أنها جاءت في معرض الحديث عن إقامة الحد على الزاني وعدم استخدام الرأفة به، لأن الرأفة قد توصل إلى إسقاط الحدود، أما كيفية ووقت إقامة الحدود فكان الحديث عن الرحمة.

و ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ ﴾: فلا تقيموا الحدود كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم، وقيل: رحمة في شدة الضرب وقيل: ضرب ليس بالمبرح.[1]

---

[1] ســـورة النور: الآية الكريمة (2).

[2] انظر: الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة (ط1/ 1997مـــ) (2/ 298)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الصابوني: صفوة التفاسير).

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (121/18)

[4] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (رأف) (9 / 112).

ولعله جل وعلا عبر بالرأفة دون الرحمة إعلاماً منه بأنه لم ينه عن مطلق الرحمة، وإنما كان النهي عن أثر ذلك، وهو ترك إقامة الحدود أو إنقاصها.[2]

"فالواجب على المسلمين أن يتصلبوا في الدين ولا يأخذهم اللين إلى عدم استيفاء حدود الله"[3].

وأما في بقيـ ـة المواضـ ـع التي اقترنت فيها الرأفة بالرحمة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[4].

يقول ابن عاشـ ـور: "الرؤوف الرحيم صفتان مـ ـشبهتان، مـ ـشتقة أولاهما من الرأفة والثانية من الرحمة، والرأفة مفسرة بالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة"[5].

وقال ابن عاشـ ـور نقـ ـلاً عن القفال: "والفـ ـرق بين الرأفـ ـة والرحمـ ـة: أن الرأفـ ـة مبالغة في رحمـ ـة خاصة".[6]

أما الآلوسـ ـي فذكر أن الرأفة في المـ ـشهور عنـ ـد العلماء بمعنى الرحمة، ولكن إذا اقترنتا في سـ ـياق الكـ ـلام فلكل واحدة مكان من الكلام، حيث يراد بالرأفـ ـة درء المفاسد، ويراد بالرحمة جلب الخير والمصالح.[7]

---

(1) انظر: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء إسـ ماعيل القرشـ ـي الدمـ ـشقي (ت: 774هـ): **تفـ سير القرآن العظيم**، دار الأندلسي، بيروت، (ط1/ 1966مـ) (5/ 50)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن كثير: تفسير القرآن).

(2) انظر: البقاعي، برهان أبو الحسين إبراهيم بن عمر (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1/ 1995مـ) (5/ 231)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (البقاعي: نظم الدرر).

(3) انظر، الزمخـ ـشري، أبو القاسـ ـم جار الله ابـ ـن عمر الخوارزمي (ت: 538هـ): **الكـ ـشاف عـ ـن حقائـ ـق التنزيـ ـل وعيون الأقاويـ ـل في وجـ ـوه التأويل**، دار المعرفة، (بلا ط/ ت)، (3/ 47)، وسـ ـيشار إلى هـ ـذا المـ ـصدر لاحقاً (الزمخشري: الكشاف).

(4) سـ ـورة الحديد: الآية الكريمة (27).

(5) ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (18/ 123).

(6) المرجع السابق.

(7) انظر: الآلوسي: **روح المعاني** (مج 9) (27/ 190).

وهذا التأويل نراه واضحاً جلياً في تسع آيات من أصل ثلاثة عشر، جاءت الرأفة مقترنة بالرحمة ومقدمة عليها في سياق الكلام، والقاعدة الشرعية تقول "درء المفاسد أولى من جلب المصالح".[1]

وإذا أمعنا النظر في سورة النور نجد أن الرأفة في هذا المقام تؤدي إلى إسقاط أو إنقاص الحدود مما يؤدي إلى ضرر بالمجتمع من خلال غض الطرف عن المجرمين، لذلك كان النهي عن الرأفة وليس عن الرحمة التي هي مطلوبة في إقامة الحدود.

ثانياً: الحنـــــــان:

ورد هذا اللفظ في كتاب الله عز وجل في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾[2].

وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالحنان في الآية الرحمة والعطف والمحبة.[3]

تقول: حنانك يا رب، وحنانيك يا رب، بمعنى واحد (رحمتك يا رب)، والحنان (مشددة) من صفات الله، والحنان (مخففة) العطف والرحمة.[4]

المطلب الخامس: المعاني المقترنة بالرحمة في فواصل الآيات القرآنية:

---

(1) الندوي، علي أحمد: **القواعد الفقهية**، دار القلم، دمشق، (ط3/ 1994مـ)، ص 207، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الندوي: القواعد الفقهية).

(2) ســورة مريم: الآيتان الكريمتان (12 13).

(3) انظر: الطبري: **جامع البيان**، مج 8 (16/ 43).
- وانظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (4/ 442).
- وانظر: البقاعي: **نظم الدرر** (4/ 524).

(4) انظر، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حنن) (1/ 741).

مـ ن خلال اسـ تقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح الرحمـ ـة، والتدقيـ ق في فواصلها، نجد أن الرحمة اقترنت بستة معان أو صفات لله عز وجل، وإليك هذه المعاني مرتبة حسب الأكثر وروداً: (الغفور العزيز التواب الرؤوف الودود البر).

أولاً: الغفور:

"والغفور والغفّار من أبنية المبالغة، ومعناهما: الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم"[1].

وقد اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات القرآنية اثنتين وخمسين مرة.

وقد علق الإمام الغزالي على هذا الاسم قائلاً: "الغفور بمعنى الغفار، ولكنه شئ ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنه الغفار، فإن الغفار مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة، مرة بعد أخرى، فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعول ينبئ عن جودته وكماه وشموله، فهو غفور بمعنى أنه تام المغفرة و الغفران كاملها حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة".[2]

إذاً: المغفرة والرحمة معنيان ينبعان من مشكاة واحدة، ومن اللطائف التي ذكرها ابن عاشور لهذا الاقتران بين المعنيين: "أن الرحيم يؤكد معنى الغفور، ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهل الإعراض والصدوف إلى الإقلاع عما هم فيه"[3].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (غفر) (5/ 25).

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسـي (ت: 505هـ): المقصد **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** مكتبة الكليات الأزهرية، (بلا ط/ ت) ص 66، وسيشار الى هذا المصدر فيما بعد (الغزالي: المقصد الأسنى).

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (6/ 157).

وقـ د ورد سـ ابقاً أن المغفـ رة والرحمة من أكثر المعاني التي اقترنت ألفاظها في هذا الـ سياق، فإن دل هذا على شـ يء فإنما يدل على سـ عة رحمة الله بعباده وتجاوزه عنهم وعدم معاجلتهم العقوبة.

ثانياً: العزيز:

العزيز: من صفات الله، وهو الممتنع الذي لا يغلبه شئ، والعزّ في الأصل: القوة والشدة، والعزّ والعزة: الرفعة والامتناع.[1]

وقد اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات أربعة عشرة مرة.

ومن المعاني التي ذكرها العلماء لهذا الاسم: الشدة والقوة.[2]

ومن اللطائف لهذا الاقتران بيان أن الرحمة الإلهية بالخلائق نابعة من العزة والقوة، فهو سبحانه وتعالى قادر على قهر من يعصيه بعزته وينصر من يطيعه برحمته.

ومن الأسـ رار التي ذكرها صاحب الإتقان لاقتران العزة بالرحمة في الآيات القرآنية، أن العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن.[3]

ثالثاً: التواب:

أصل التوبة: الرجوع والعودة، فتوبة العبد: رجوعه الى الطاعة بعد المعصية، وتوبة الله على عباده: رجوعه بالمغفرة عليهم.[4]

وقد اقترن هذا الاسم مع معنى الرحمة في فواصل الآيات القرآنية عشر مرات.

---

[1] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (عزز) (5/ 374).

[2] انظر: حسن: **أسرار المعاني** ص 65.

[3] انظر: الـسيوطي، جلال الدين عبد الرحمـن (ت: 911هـ): **الإتقان في علوم القـ رآن** (بلا ط/ ت)، النوع السادس والخمسون، (2/ 113)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (السيوطي: الإتقان).

[4] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (توب) (1/ 233).

والتواب صيغة مبالغة، فكلما تكررت التوبة من العبد مع تكرار ذنبه كلما تكرر القبول من الله لعباده.[1]

رابعاً: الرؤوف:

وقد اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات القرآنية تسع مرات، والرأفة والرحمة تؤديان معنى واحداً، إلا أن بينهما فرقاً دقيقاً من حيث سياق الحديث، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع سابقاً عند الحديث عن نظائر الرحمة في القرآن.[2]

خامساً: الودود:

الودود: على وزن فعول، بمعنى مفعول، من الودّ والمحبة، فالله تعالى مودود، أي: محبوب في قلوب عباده، وقيل: بمعنى فاعل، أي: يحب عباده الصالحين ويرضى عنهم.[3]

وقد اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات القرآنية مرتين.

والود من الحب، والحب يقتضي العطف على قدر حاجة المعطوف عليه.[4]

سادساً: البَّر:

وقد اقترن هذا الاسم بالرحمة في موضع واحد في كتاب الله عز وجل، وذلك عند قوله ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5].

---

[1] انظر: الشعراوي: **أسماء الله الحسنى** ص 278.

[2] انظر: المبحث الرابع: نظائر الرحمة في القرآن، ص 12.

[3] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ودد) (3 / 454).

[4] انظر: الشعراوي: **أسماء الله الحسنى** ص 215.

[5] ســورة الطور: الآية الكريمة (28).

ومن المعاني التي نلمـ سها من هذا الاسـ م، الرحمة بالناس، فقد عرّف الـ شعراوي هذا الاسـ م بقوله: "الرفيق بعباده، ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير من سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم"[1].

وقيل: البَّر: هو المحسن الذي لا يقطع إحسانه بسبب العصيان له.[2]

المبحث الثاني

المعاني التي ورد عليها لفظ الرحمة في القرآن الكريم

بعد الرجوع إلى أمات كتب التفسير واستقراء الآيات التي وردت فيها كلمة الرحمة، إضافة إلى الاستعانة بكتاب الدامغاني،[3] تبين أن الرحمة على ثلاثة عشر وجهاً وهي:

المطلب الأول: النبوة:

قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

---

[1] المرجع السابق ص 277.

[2] انظر: السيد حسن: **أسرار المعاني**، ص 237.

[3] انظر: الدامغاني، الحسين بن محمد: **قاموس القرآن أو إصـ لاح الوجوه والنظائر من القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، (ط1/ 1970مـ) تحقيـ ق: عبـ د العزيـ ز سـ يد الأهل ص 199، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الدامغاني: قاموس القرآن)

[4] سورة الزخرف: الآية الكريمة (32).

قال الآلوسـ ي: ويجـ وز أن يكون المراد بالرحمـ ة في الآية النبوة وهـ و الأنـ سب، وعليـ ه أكثر المفـ سرين.[1]

"ورحمة الله هي اصطفاؤه عبده للرسالة عنه إلى الناس[2].

والمعنى العام للآية: إذا كان الناس عاجزين عن قسمة معيشتهم في أمور دنياهم، فمن باب أولى أن يكونوا أعجز بما هو أهم من ذلك وأولى لهم، وهو أمور دينهم وآخرتهم.[3]

ومن الآيات التي ورد فيها لفظ الرحمة بمعنى النبوة: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[4].

يقول الإمام الطبري معلقاً على هذه الآية: "والله يختص برحمته من يشاء واله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له، واختصاصه إياهم بها: إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه، وإنما جعل الله رسالته الى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها الى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه، وكل ذلك رحمة من الله له"[5].

ومن الآيات كذلك: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾[6].

المطلب الثاني: المطر:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [1].

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني** مج 9 (78/25).

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (25/ 246).

[3] انظر: المرجع السابق، (25/ 245).

[4] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (105).

[5] الطبري، أبو جعــفر محمد بــن جرير، ســنة 210هـــ: **جامـ ع البيان في تفـ سير القرآن**، دار المعرفـــة، بيروت (ط3/ 1978مـــ)، مج 1 (1/ 378) وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الطبري: جامع البيان).

[6] ســـورة هود: الآية الكريمة (28).

الرياح من أعظم النعم التي سخرها الله للإنسان، إذ هي السبب في إثارة السحب وتحريكها، والا سبب ف ي إن زال الغيث، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾ [2].

والآية تشير الى تلقيح الرياح للسحب مما يترتب عليه نزول الأمطار.

فالمطر النازل من السماء من أهم رحمات الله على الناس، فهو أساس الحياة، ولولاه لانعدمت الحياة على وجه الأرض، ولتحولت الأرض إلى بقعة قفراء قاحلة لا حياة فيها.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [3].

وقد ورد في كتاب الله عز وجل كثير من الآيات التي تبين مدى رحمة الله تعالى بالناس بإنزال الغيث ماءاً عذباً سائغاً للشاربين، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [5].

و هناك كثير من الآيات التي تبين مدى عجز الإنسان أمام هذه النعمة وهذا العطاء الإلهي:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [1].

---

(1) ســـورة الروم: الآية الكريمة (46).

(2) ســـورة الحجر: الآية الكريمة (22).

(3) ســـورة الأنبياء: الآية الكريمة (30).

(4) ســـورة طه: الآيتان الكريمتان (53 54).

(5) ســـورة الواقعة: الآية الكريمة (70).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [2].

يقـ ول الإمام الطبري مبيناً أن معنى الرحمـ ة في الآيـ ة المطر: ومـ ن أدلـ ة وحدانية الله أن يرسـ ل الرياح بين يدي الـ سحاب ثم ينزل الغيث الذي يحيي به البـ لاد، ولتجري الـ سفن في البحار بها بأمره.[3]

ويقول ابن كثير: "يذكر تعالى نعمـ ه على خلقه في إرسـ اله الرياح مبــشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد"[4].

والمبـ شرات: هي المؤذنـ ة بالخير وهي المطر، وأصل البشارة: الخبر السار، وذلك أن الرياح تسوق سحاب المطر الى حيث تمطر.[5]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا هاجت رياح شديدة قال: "اللهم إني أسالك من خير ما أمرت به وأعوذ بك من شر ما أمرت به"[6].

وذكر ابن حجر أن سبب دخول هذا الحديث في أبواب الاستسقاء "أن المطلوب بالاستسقاء نزول المطر، والريح في الغالب تعقبه"[7].

---

[1] ســـورة الشورى: الآية الكريمة (28).

[2] ســـورة الروم: الآية الكريمة (46).

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان،** مج 10 (21/ 34).

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (3/ 445).

- وانظر: القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل،** دار الفكر، بيروت، (ط2/ 1978مـــ) (8/ 186)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (القاسمي: محاسن التأويل).

[5] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (21/ 71).

[6] الطحاوي، أحمد بن محمد بن ســـلامة بن سـ لمه الأزدي المصري الحنفي (ت: 321هـ): **مشكل الآثار،** دار صادر، بيروت (ط1/ 1333هـ) (1/ 400)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (الطحاوي: مشكل الآثار).

[7] ابن حجر: فتح الباري، (2/ 621).

وجاء في تعليق الطحاوي على هذا الحديث أنه لا فرق بين ريح وأخرى سوى أن منها ما يكون للرحمة وأخرى للعذاب.[(1)]

وهذا الحديث جاء ملازما لمدلول الآية السابقة، ذلك أن الرياح إنما تكون سببا لنزول الأمطار.

المطلب الثالث: القرآن:

قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[(2)].

ذهب كثير من أهل التفسير والتأويل، كأبي سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن عباس الى أن المقصود ب (فضل الله) الإسلام و(رحمته) القرءان.[(3)]

يقول الإمام الطبري مفسراً لهذه الآية: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين بك وبما أنزل إليك من عند ربك بفضل الله: أيها الناس: الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبينه لكم ودعاكم إليه، (وبرحمته) التي رحمكم بها فأنزلها إليكم فعلمكم مالم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾، يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها"[(4)].

المطلب الرابع: الجنة:

---

(1) انظر: الطحاوي: مشكل الآثار (1/ 400).

(2) سورة يونس: الآية الكريمة (58).

(3) انظر القرطبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بلا ط/ 1965م) (8/ 353)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (القرطبي: الجامع لأحكام القرآن).

- انظر: الشوكاني: **فتح القدير** (2/ 453).

(4) الطبري: **جامع البيان** (11/ 87).

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾[1].

ذكر ابن كثير، الآلوسي أن المقصود بالرحمة في الآية الجنة.[2]

وهناك كثير من الآيات القرآنية التي جاءت فيها الرحمة بمعنى الجنة ومن هذه الآيات قوله تعالى في سياق الحديث عن مصير الكافرين وعاقبة المؤمنين يوم القيامة مبيناً أن مصير الكافرين عذاب جهنم وأن جزاء المؤمنين الجنة:

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [3].

أي: الجنة، فهو من التعبير بالحال عن المحل، والظرفية حقيقية، ولا يجوز أن يراد بالرحمة ما هو صفة له تعالى إذ لا يصح فيها الظرفية، ويدل على ما ذكر مقابلتها بالعذاب ومقارنتها بالخلود في قوله تعالى ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.[4]

وإنما عبر بالرحمة إشد عاراً بأن المؤمن وإن اسد تغرق عمره في طاعة الله تعالى فلن ينال ما ينا إلا برحم ة الله تعالى، ولهذا ورد في الحدي ث قول ه ﷺ: "لن يدخل

---

[1] ســـورة النساء: الآية الكريمة (175).

[2] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (1/ 606).

- انظر: الآلوسي: **روح المعاني** مج 2 (6/ 43).

[3] ســـورة آل عمران: الآيتان الكريمتان (106 107).

[4] انظر: الآلوسي: **روح المعاني** مج 2 (4/ 26).

أحـ داً منكم عملـــه الجنـ ـة، قالوا: ولا أنت يا رسـ ـول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنـــي الله منه بفضل ورحمة"[1].

المطلب الخامس: الرزق:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾[2].

والمقصود بالرحمة: الرزق.[3]

وكان الرسول ﷺ إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل حياء، فجاء التوجيه الإلهي للنبي ﷺ أنه إذا أعرضت عن هؤلاء السائلين أو عن أقاربك لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك - فسمى الرزق رحمه - فردهم رداً جميلاً حيث أنه وضع الابتغاء موضع الفقد، لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء، والابتغاء مسبب عنه، فوضع المسبب موضع السبب.[4]

وأخـــرج البخاري في صـــحيحه عـــن أنـ ـس بـ ـن مالك رضي الله عنـ ـه أنه قال رسـ ـول الله ﷺ: "من أحب أن يبسط الله في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"[5].

المطلب السادس: العصمة:

وليس المقصود بالعصمة في هذا المقام عصمة الإنسان من الذنوب والمعاصي، وإنما هو حفظ الله وتوفيقه للإنسان قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

---

[1] مسلم، أبو الحـ ـسين بن الحجاج القـــشيري النيسابوري (ت: 261هـ): **صحيح مسلم ومعه شرح النووي**، دار الفكر، بيروت، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخـــل أحد الجنة بعمله (ط3/ 1978مـــ) (17/ 160)، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد (مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي).

[2] ســـورة الإسراء: الآية الكريمة (28).

[3] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، مج 5 (15/ 63).

[4] انظر: الزمخشري: **الكشاف** (2/ 447).

[5] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب من يبسط له في رزقه، (7/ 72).

فالعصمة من الذنوب والمعاصي لا تكون إلا للأنبياء الذين اصطفاهم الله لرسالته، واختارهم ونقى سرائرهم، وأما الإنسان المكلف فمن طبيعته الضعف والوهن أمام زخارف الدنيا وزينتها، لذلك مما لا شك فيه أنه سيقع في بعض المحظورات، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[2].

وفي سورة يوسف نلحظ أن الرحمة جاءت بمعنى العصمة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾[3].

وذكر ابن كثير أن المقصود بالرحمة في الآية، العصمة.[4]

المطلب السابع: السعة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[5].

ذهب بعض المفسرين الى أن المقصود بالرحمة في الآية السعة والتخفيف عن الأمة الإسلامية دون غيرها، وذلك لما في شرعية العفو من تسهيل على القاتل، وفي شرعية الدية نفع

---

[1] ســورة المائدة: الآية الكريمة (67).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، حديث (2749) (4/ 2106).

[3] ســورة يوسف: الآية الكريمة (53).

[4] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (2/ 499).

[5] ســورة البقرة: الآية الكريمة (178).

لأولياء الأمور، حيث إن الأمة اليهودية كان يجب عليها القصاص دون غيره، والأمة النصرانية العفو مطلقاً، فجاء التخيير لهذه الأمة تسهيلاً وتوسعة عليها.[1]

قال ابن كثير: "إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفاً من الله عليكم ورحمة بكم، مما كان محتوماً على الأمم قبلكم من القتل أو العفو".[2]

وذكر الإمام الطبري أنه: "كان على بني إسرائيل قصاص في القتل ليس فيهم دية في نفس ولا جرح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾[3]، وخففه الله تعالى عن أمة محمد ﷺ، فقَبل منهم الدية في النفس والجراحة، وذلك قوله: ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾" [4].

المطلب الثامن: التوفيق:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [5].

قال الإمام الطبري: "ولو لا إنعام الله عليكم أيها المؤمنون بفضله وتوفيقه ورحمته، فأنقذكم مما ابتلى هؤلاء المنافقين به"[6].

وقال صاحب الكشاف عن معنى الرحمة في الآية "إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق"[7].

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني** (1/ 51).
[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (1/ 216).
[3] ســورة المائدة: الآية الكريمة (45).
[4] الطبري: **جامع البيان** (2/ 77).
[5] ســورة النساء: الآية الكريمة (83).
[6] المرجع السابق (5 / 115).
[7] الزمخشري: **الكشاف** (1/ 548).

المطلب التاسع: المودة:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [1].

قال ابن كثير: "هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار رحيماً برّا بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن"[2].

وجاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[3].

وعن النعمان بن البشير عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4].

المطلب العاشر: ذكر الرحمة بما يقابل كشف الضرّ: [5]

قال تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

---

(1) ســورة الفتح: الآية الكريمة (29).

(2) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (6/ 236).

(3) مسلم: **صحيح مسلم بشرح النووي**، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، (16/ 139).

(4) المرجع السابق، (16/ 139).

(5) انظر: (الروم: 33) (يونس: 21).

يقول الإمام الطبري: "ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام، مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقهن الله، فإذا قالوا ذلك فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله الأصنام والآلهة، ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هنّ كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضرّ، ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ يقول: أن يصيبني سعة في معيشتي وكثرة مالي ورخاء وعافية في بدني، هل هنّ ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة"[2].

المطلب الحادي عشر: ذكر الرحمة صفة لله عز وجل:

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[3].

قال ابن كثير: "أوجبها على نفسه الكريمة تفضّلاً منه وإحساناً وامتناناً"[4].

وهناك كثير من الأحاديث النبوية التي أشارت الى أن الرحمة صفة من صفات الله عز وجل، منها ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي"[5].

المطلب الثاني عشر: الشفاعة.

---

[1] ســورة الزمر: الآية الكريمة (38).

[2] الطبري: **جامع البيان**، مج 7 (11/ 6).

[3] ســورة الأنعام: الآية الكريمة (54).

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (3/ 28).

[5] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، (4/ 73).

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

أي: "وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض، يأذن الله في الشفاعة لأحدهم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته، ويكرمه بقبول الشفاعة فيه".[2]

المطلب الثالث عشر: الشفقة والرقة:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾[3].

وذكر الآلوسي: أنه إذا ذكرت الرحمة مع الرأفة، فيراد بالرحمة جلب المصالح، وبالرأفة درء المفاسد والشرور.[4]

وقيل: "حناناً ورقة على الخلق، لكثرة ما وصى به عيسى عليه السلام من الشفقة وهضم النفس والمحبة"[5].

---

[1] سورة الدخان: الآيتان الكريمتان (41 42).

[2] البقاعي: **نظم الدرر** (7/ 80).

[3] سورة الحديد: الآية الكريمة (27).

[4] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، مج 9 (27/ 190).

[5] القاسمي: **محاسن التأويل** (9/ 57).

وقد كان على عهد عيسى عليه الصلاة والسلام أُمتان عظيمتا القسوة والشدة اليهود والرومان، فقد كان لهم أفانين في تعذيب النوع البشري، حتى جاءت البعثة المسيحية على أثر ذلك فجاهدتهم حتى أظهرها الله عليهم.[1]

الفصل الثاني

أسباب الرحمة الإلهية من خلال الآيات القرآنية

وفيه خمسة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الإيمان بالله.

المبحث الثاني: التقوى.

المبحث الثالث: الدعاء.

---

[1] انظر: المرجع السابق (9/ 57).

المبحث الرابع: المحافظة على العبادات.

المبحث الخامس: قراءة القرآن.

المبحث السادس: ذكر الله.

المبحث السابع: قيام الليل.

المبحث الثامن: الإحسان.

المبحث التاسع: الصبر على الشدائد.

المبحث العاشر: طاعة الله.

المبحث الحادي عشر: التوبة والاستغفار.

المبحث الثاني عشر: إصلاح ذات البين.

المبحث الثالث عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الرابع عشر: الهجرة قي سبيل الله.

المبحث الخامس عشر: الجهاد في سبيل الله.

المبحـــث الأول

الإيـــمان

إن مـ ن أعظم نعم الله على البـ شرية الإيـ مان، فالإيـ مان شـ جرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في الـ سماء ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

"والإيمان اسم مشتق من الأمن، الذي هو ضد الخوف كما قال تبارك تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[2].[3]

والإيمان بتهذيبه لسلوك الإنسان وتنظيمه لحياة الجماعة، يمثل صمّام أمان للمجتمع من الانزلاق في وحل الانحلال و الفساد، فهو ليس مجرد الإدراك الذهني أو التصديق العقلي غير المتبوع بأثر عملي في الحياة، بل إنه اعتقاد وعمل وإخلاص، من هنا ندرك الحكمة التي من أجلها اقترن الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من سبعين آية في كتاب الله.[4]

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[5] أي: عصموا به أنفسهم مما يريدها من زيغ الشيطان، فسيدخلهم الجنة ثم يتفضل

---

[1] سورة إبراهيم: الآية الكريمة (24).

[2] سورة البقرة: الآية الكريمة (239).

[3] الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن، (ت: 1012هـ): **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي فوده، دار الفكر (ط1/ 1979مـ) (1/ 19)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الحليمي: المنهاج).

[4] انظر: القرضاوي، د. يوسف: **الإيمان والحياة**، مؤسسة الرسالة، (ط1/ 1998م) ص 47 49 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (القرضاوي: الإيمان).

[5] سورة النساء: الآية الكريمة (175).

عليهم بعد ذلك بالنظر الى وجهه الكريم وغير ذلك من مواهبه الجليلة،[1] ومما يشير الى ذلك قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2].

إن الإيمان يقع على رأس سلم المؤهلات التي تؤهل الإنسان الى رحمة الله، فهو مصدر الهداية والسعادة في الدنيا، لذلك فمن كان يرجو هذا أو ذاك فلا سبيل له إلا بالإيمان.

لقد ورد كثير من الآيات القرآنية التي تبين أثر الإيمان في حياة الناس في الدنيا والآخرة، وهذه أمثلة منها:

أولاً: أثر الإيمان في الحياة الدنيا:

1. إن الإيمان هو السبيل إلى الحياة الآمنة السعيدة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وذكر ابن كثير أن هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله وسنة رسوله من ذكر أو أنثى و قلبه مؤمن بالله ورسوله، بأن يحييه حياة طيبة في الحياة الدنيا، والحياة الطيبة تشمل الراحة من أي جهة كانت.[4]

2. العزة: لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

---

[1] انظر: القاسمي: **محاسن التأويل** (3/ 688).

[2] سورة يونس: الآية الكريمة (26).

[3] سورة النحل: الآية الكريمة (97).

[4] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (4/ 224).

[5] سورة المنافقون: الآية الكريمة (8).

فالنصر على الأعداء والظفر بهم من أهم ثمار الإيمان، وكم المسلمون بحاجة إليه اليوم، وهم يعيشون أسوأ فترات زمانهم من ذل وهوان وانكسار وتبعية للأمم الأخرى.

3. التمك ين والاس تخلاف في الأرض، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[1] وهذا التمكين سبيل الى صلاح البلاد والعباد.

4. الإيمان يعرّف الإنسان بأن الحياة الدنيا محكومة بقدر الله، فيعيش آمن القلب ساكن النفس لا يحـ زن على ما مضى و لا يخاف مما هـ و آت، كـ يف لا يكـ ون المؤمـ ن كذلك وهـ و يقرأ قـ و ل الله تـ عالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2].

5. إن الله عز وجل بـ شر أهل الإيمان بالرحمة في الدنيا و الآخرة فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾[3].

قال الآلوسي: "دل على أن المراد بالصلاة الرحمة".[4]

ثانياً: ثمار الإيمان في الآخرة:

1. التثبيت عند سؤال القبر:

---

[1] سورة النور: الآية الكريمة (55).

[2] سورة التغابن: الآية الكريمة (11).

[3] سورة الأحزاب: الآية الكريمة (43).

[4] الآلوسي: **روح المعاني**، مج 8 (22/ 43).

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [1]، فالثبات حاصل لأهل الإيمان في الدنيا بشهادة التوحيد، و في الآخرة عند سؤال القبر.

قال الآلوسي عند قوله (وفي الآخرة): "أي بعد الموت و ذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة وفي مواقف القيام ة، فلا يتلعثمون إذا سـ ئلوا ع ن معتقدهم هناك ولا تدهشهم الأهوال"[2].

2. الإيمان نور المؤمن يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3].

يقول ابن كثير: يقول الله تعالى مخبراً عن المؤمنين الصادقين، أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، و منهم من نوره مثل النخلة، و منهم من نوره مثل الرجل القائم، و أدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقدّ مرة و يطفأ أخرى.[4]

---

[1] سورة إبراهيم: الآية الكريمة (27).

[2] الآلوسي: **روح المعاني**، مج5 (13/ 217).

[3] سورة الحديد: الآية الكريمة (12).

[4] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، بتصرف (6/ 554).

المبحـــث الثاني

التقـــوى

لقد عرّف علي رضي الله عنه التقـــوى وقال: "الخوف مـــن الجليل والعمـــل بالتنزيل والرضى بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل"[(1)].

وللتقوى قيمة عالية في حياة الإنسان، فهي لا ترتبط بالعبادات فحسب، وإنما تدخل في كل جانب من جوانب الحياة.

ففي جانب العبادات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[(1)].

[(1)] العفيفي، طـــه عبد الله: **مـ ن وصايا الرسـ ول** ﷺ، دار المعرفـــة، الدار البيضاء، (بـــلا ط/ 1986مـــ) (1/ 776)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (العفيفي: من وصايا الرسول).

وفـــي جانـــب المعامـــلات الماليـــة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

وفي جانب العلاقات الاجتماعية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[3].

والتقوى هي زاد المسلم في طريقه الى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4]، لذلك كانت التقوى لباس المؤمن في حياته، وذلك حتى لا يغتر بما لديه من الخيرات و يظنها من صنعه، بل إنه من فضل الله.

فالتقوى من أهم المؤهلات التي تؤهل الإنسان الى رحمة الله عز و جل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5].

لذلك كانت التقوى هي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[6].

---

[1] سورة البقرة: الآية الكريمة (183).

[2] سورة البقرة: الآية الكريمة (278).

[3] سورة الطلاق: الآية الكريمة (1).

[4] سورة البقرة: الآية الكريمة (179).

[5] سورة يس: الآية الكريمة (45).

[6] سورة النساء: الآية الكريمة (131).

كيف لا تكون التقوى بهذه المنزلة وهي سبب لبركات السماوات والأرض ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

أي: "من بركات المطر والنبات وتسخير الرياح الشمس والقمر في مصالح العباد"[2].

ويعلق سيد قطب على هذه الآية فيقول: "إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى بركات في الأشياء وبركات في النفوس والمشاعر، وطيبات في الحياة، وليس مجرد وفرة مع الشقوة والانحلال"[3].

وللتقوى ثمار كثيرة تظهر في حياة الفرد والمجتمع كما بينتها الآيات القرآنية، نوجز بعضاً منها:[4]

1. التقوى سبب لمعية الله وتأييده: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5].

2. التقوى سبيل الى حياة آمنة مطمئنة: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6].

---

[1] سورة الأعراف: الآية الكريمة (96).

[2] الثعالبي، عبد الرحمن: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1/ 1996/) (1/ 563)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الثعالبي: الجواهر).

[3] قطب: **الظلال** (3/ 1339).

[4] انظر: الصلاّبي، د. علي محمد: **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القران الكريم**، دار الفجر للتراث، القاهرة (ط1/ 2003مـــ) ص 417، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الصلابي: تبصير المؤمنين).

[5] سورة البقرة: الآية الكريمة (194).

[6] سورة الأعراف: الآية الكريمة (35).

3. التقوى سبب في تكفير الذنوب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾[1].

4. التقوى تؤدي الى الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

5. التقوى سبب النجاة يوم القيامة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾[3].

6. التقوى سبب في الخروج من الأزمات والشدائد، وسبب في زيادة الرزق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[4].

---

[1] سورة الطلاق: الآية الكريمة (5).

[2] سورة آل عمران: الآية الكريمة (33).

[3] سورة مريم: الآية الكريمة (72).

[4] سورة الطلاق: الآيتان الكريمتان (2 3).

المبحـــث الثالث

الدعـــاء

الدعاء في الأصد ل مصد در مد ن قولك: دعوت الد شئ أدعوه دعاء، وهو أن تميل الشئ إليك بصوت وكلام يكون منك.[1]

وحقيق ة الدع اء: إظ هار الاف تقار إلى الله تعالى والتبرؤ مد ن الحول والق وة، وه ذا لب العبودية لله تعالى.

وقد ورد الدعاء في القران الكريم على تسعة وجوه: (العبادة، والطلب، والاستقامة، والنداء والتوحيد، ورفعة القدر، والقول، وسؤا الاستفهام، والتسمية).[2]

إن المسلم لتشرئب نفسه الى رحمة من الله يطمئن بها قلبه وتسكن بها نفسه، ويعتصم بها بحبل الله المتين ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[3].

لذلك فالدعاء من أهم المؤهلات الى رحمة الله وكرمه وعطائه، فكلما رفع الإنسان يديه سائلاً المولى حوائج ه، كلما ك ان ذلك اعترافاً مذ ه بالضع ف والعجز، فد كان ذلك أولى بذ زول رحمة الله عز وجل.

وللدعاء مكانة عظيمة في الإسلام أشار إليها النبي ﷺ بقوله: "الدعاء هو العبادة".[1]

---

[1] انظر: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (دعو) (2/ 279).

[2] انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات**، ص 315.

[3] سورة الكهف: الآية الكريمة (10).

قال الشوكاني: "إن الدعاء لما كان هو العبادة، وكان مخ العبادة كما تقدم، كان أكرم على الله من هذه الحيثية، لأن العبادة هي التي خلق الله سبحانه الخلق لها"[2].

فكم من رحمة ظاهرة أو باطنة كانت بسبب الدعاء، ألا ترى أن الرسول ﷺ وأصحابه في أحلك الظروف وأصعبها لجأوا الى الله بالدعاء، حتى تنزلت عليهم الرحمة ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[3].

ألا ترى أصحاب الكهف فروا بدينهم من القهر والظلم، ولجأوا الى الله بالدعاء ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[4]، فاستجاب الله لهم وأنزل عليهم رحماته ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[5].

أي: أنكم بعدما لجأتم الى الله ودعوتموه بأن يمدكم بالطعام والشراب والأمن من الأعداء، فإنه إضافة لذلك سكب عليكم من الإمدادات الملكوتية والتأييدات القدسية.[6]

---

[1] الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة: **سنن الترمذي**، جمعية الحكمة الإسلامي، (بلا ط/ 1421هـ)، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة، حديث (3233)، (2/ 749) قال الترمذي: حسن صحيح، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الترمذي: السنن).

[2] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الصنعاني (ت: 1250هـ): **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا ط/ ت)، ص 21، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الشوكاني: تحفة الذاكرين).

[3] سورة الأنفال: الآية الكريمة (9).

[4] سورة الكهف: الآية الكريمة (10).

[5] سورة الكهف: الآية الكريمة (16).

[6] انظر: القاسمي: **محاسن التأويل** (7/ 14).

كما أن الدعاء سبيل الى رحمة الله عز وجل لحديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ: "من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة"[1].

والإعراض عنه مدعاة الى غضب الله عز وجل، وذلك لأن من لم يدع إما أن يكون "قانطاً أو مستكبراً، وكل واحد من الأمرين موجب للغضب"[2].

المبحــث الرابع

المحافظــة على العبادات

لا بدّ من الإشارة الى أن العبادات في الإسلام إنما شرعت من أجل مصلحة الإنسان وتزكية نفسه وصيانتها من مساوئ الأخلاق والعادات، لذلك فمن مكامن الرحمة في العبادات أن كثيرا من الآيات القرآنية التي تتحدث عن العبادات، يأتي في سياقها الحديث عن أثر هذه العبادة على سلوك الإنسان وأخلاقه.

ف مثلاً:

عند الحديث عن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[3].

---

[1] الترمذي: **السنن**، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي، حديث (3893) (2/ 909) قال الترمذي: حديث غريب.

[2] الحليمي: **المنهاج** (1/ 540).

[3] ســورة العنكبوت: الآية الكريمة (45).

وعند الحديث عن الصيام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1].

وعند الحديث عن الزكاة: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2].

فالصلاة عون للضعفاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

إضافة الى أنها عنصر مهم في تكوين الشخصية الإسلامية: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾[4].

وهـ ذا النبي ﷺ يبـ شر المصلين برحـ مات مـ ن الله فـ يقول: "لا يزال الـ عبد في صـ لاة ما كـــان في مصـــلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم أرحمه حتى ينصرف أو يحدث"[5].

والصيام ليس تعذيباً للنفوس والأجسام، ولا حرماناً لها من الطيبات التي أحلها الله عز وجل، إنما هو خطة واضحة لتزكية النفس والقلب، ودعم الإيمان وتنمية بذور المراقبة والخشية لله تبارك وتعالى.[6]

---

[1] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (184).

[2] ســـورة التوبة: الآية الكريمة (103).

[3] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (153).

[4] ســـورة المعارج: الآيات الكريمات (19 23).

[5] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، حديث (274) (1/ 459).

[6] انظر: الغزالي، محمد: **هذا ديننا**، دار القلم، دمـ شق، (ط1/ 1997مـــ) ص 118، وســـيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الغزالي: هذا ديننا).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

وأما الزكاة فهي رحمة غامرة للمسلمين جميعاً، أفراداً وجماعات، إذ أنها تحفظ مكانة الفرد في المجتمع بالحب والإجلا إذا كان معطياً، وتحفظ له حياته وصفوة عيشة إن كان آخذاً كما أنها تصون للجماعة وحدتها وعزتها وقوتها.

ومن معالم الرحمة في الزكاة أن جعل أمد الزكاة في الأموال عاماً كاملاً، وذلك حتى يتيح الفرصة لأصحاب الأموال لتنميتها وزيادتها بالأرباح.

ومن معالم الرحمة أيضاً: أنها غالباً ما تُقدم عند الأعياد والمناسبات العامة للمسلمين بحيث تعم الفرحة كافة المسلمين، وتنمي مشاعر الحب والإيثار والإحساس بالغير، وتقتل روح الأنانية عند الأغنياء.[2]

وقد سـ ميت الزكاة بهذا الاسـ م، الذي معناه الطهارة والتطهير، لأنها تطهر المال من اختـ لاطه بحـ ق الغير، وتطهر نفـ س الإنـ سان مـ ن الـ شح والبخـ ل والأنانية، وتعوده على الـ بذل والعطـ اء، كـ ما أنها غرس لمـ شاعر الحـ نان والرأفـ ة وتوطـ يد العـ لاقات وتأليف القلوب والطبقات الاجتماعيـ ة.[3]

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[4].

---

[1] سورة البقرة: الآية الكريمة (183).

[2] انظر: سـ يد الأهل، عبد العزيـز: **أسـ رار العبادات في الإسـ لام**، دار العلم للملاييـن، بيـروت، (ط1/ 1972مـ)، ص 109 110، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (سيد الأهل: أسرار العبادات).

[3] انظر:الغزالي: **خلق المسلم** ص 8.

[4] سـورة التوبة: الآية الكريمة (103).

والحج أيضا هو أحد الوسائل التي أتيحت للإنسان من أجل تكفير الذنوب والسيئات والتبرؤ منها، مصد داقاً لقول الرسد ول ﷺ: "مـ ن حـ ج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"[1].

إذاً: العبادات مدرسة عريقة لمن أراد أن يقوّم الأخلاق والسلوك، ولمن أراد أن يبحث عن رحمة الله عز وجل والفوز بخيري الدنيا والآخرة.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب فضل الحج، (141/2).

المبحــث الخامس

قــراءة القرآن

لقد امتن الله على عباده أن أرسل إليهم النبي الأمي محمداً ﷺ وأنزل معه القرآن، فأحيا به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله لمؤمن كان حائراً هالكاً في الضلالة، فبعث الله في قلبه الإيمان ووفقه لإتباع الرسول ﷺ، وجعل له ما يستدل به في الطريق وهو القرآن.[2]

إنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، وهو الضياء والنور، من تمسك به نجا ورُحم، ومن تنكبه هلك، فهو الشفاء للصدور والرحمة للقلوب.[3]

لذلك من الواجب على المسلم أن يجعل هذا القرآن دستوراً له في حياته، فيحل حلاله ويحرم حرامه، ويعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، حتى يكون سبباً في رحمته.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

---

[1] ســورة الأنعام: الآية الكريمة (122).

[2] انظر: ابن كثير: **تفسير القران العظيم** (3/ 93).

[3] انظر: القاســمي، محمــد جمال الدين الدمــشقي: **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**، دار الفكر، بيروت (بلا ط/ ت) (1/ 79)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (القاسمي: موعظة المؤمنين).

[4] ســورة الأنعام: الآية الكريمة (155).

فقراءة القــرآن سـ ببـ مـ ن أسـ باب الرحمـ ـة: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

وقراءته لا تنحصر بتلاوة الأحرف والسطور، وإنما بالتدبر والتفكر في المعاني والآيات، يقول الشهيد سيد قطب معلقاً على هذه الآية: "إن العكوف على هذا القرآن في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم، لينشئ في القلب والعقل من الرؤية الواضحة البعيدة المدى، ومن المعرفة المطمئنة المستيقنة، ومن الحرارة والحيوية والانطلاق، ومن الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب...، وهذا كله أرجى إلى الرحمة"[2].

---

[1] ســورة الأعراف: الآية الكريمة (204).

[2] قطب: **الظلال** (3/ 1426).

المبحث الســادس

ذكر الله عز وجل

الناس في الحياة الدنيا لا يعْدُون أحد صنفين: إما أن يكونوا من حزب الرحمن، وإما أن يكونوا من حزب الشيطان، وإن من أهم ما يميّز بين هؤلاء وهؤلاء ذكر الله عز جل، فمن كان لــــسانه رطباً بذكـ ر الله من تــسبيح وتحميد وتكبير أو غيرها مـ ن أنواع الذكـ ر، كان من حزب الرحمن، أما من ركن الى الشهوات والملذات، وغفل لـ سانه وقلبه عن ذكر الله كان من حزب الشيطان.

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: "لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

إن الحياة حياة الروح والقلوب والعقـ ول، وليـ ست حياة الأبـ دان والأجـ سام، فـ كثير مـ ن الناس موتى أعطى الأمـ وات صـ يتاً وذكْراً وشـ رفاً بعد موتهم، حرصهم على ذكر الله

---

[1] ســورة المجادلة: الآية الكريمة (19).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم (39) (4/ 2074).

أثناء حياتهم، مـ ن هـ نا كان قول الرسـ ول ﷺ: "مـ ثل الذي يذكر ربـ ه والذي لا يذكر مثل الحيّ والميت"[1].

وفي كتاب الله عز وجل كثير من الآيات التي تبين أهمية الذكر للإنسان:

1- طمأنينـ ة الـ قلوب: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[2].

2- الوقاية من النفاق: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[3].

3- غفران الـ ذنوب: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[4].

4- بيان رفعة ومنزلة الذاكرين عند الله: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[5].

5- معية الله: كما جاء في الحديث القدسي "أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه"[6].

قال المناوي: "إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي بالرحمة والتوفيق والهداية"[1].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، (7/ 168).

(2) ســورة الرعد: الآية الكريمة (28).

(3) ســورة النساء: الآية الكريمة (142).

(4) ســورة الأحزاب: الآية الكريمة (35).

(5) ســورة البقرة: الآية الكريمة (152).

(6) ابن ماجه: **السنن**، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث (3792)، (2/ 1246)، قال الألباني في الترغيب والترهيب: صحيح لغيره.

المبحــث السابع

قــيام الليل

قيام الليل من أعظم القربات عند الله وأحبها إليه، كيف لا، وقد أمر به نبيه ﷺ، مبيناً أنه أحد أسباب المقام المحمود مقام الشفاعة يوم القيامة، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [2].

---

[1] المناوي، محمد عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، دار الفكر، بيروت، (ط2/ 1972مــ)، (2 / 209).

[2] ســورة الإسراء: الآية الكريمة (79).

وهو دأب الصالحين وتجارة المؤمنين وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمن بربه جل وعلا ويتوجه إليه يشكو حاله ويسأله حوائجه، فعن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم"[(1)].

ولقد رغب الله به عباده المؤمنين مبيناً أن المحافظين عليه هم من المتقين المستحقين لرحمة الله وجنته: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[(2)].

ثم قال مادحاً لهم ومثنياً عليهم، ذاكراً أن قيام الليل من صفات عباد الرحمن المخلصين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [(3)].

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [(4)].

قال الطبري: "يحذر عقاب الآخرة ويرجو أن يرحمه ربه، يقول: ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة".[(5)]

---

(1) الترمذي: **السنن**، كتاب الدعوات، باب من دعاء النبي، حديث (3895) (2/ 910)، قال الترمذي: حديث صحيح.

(2) ســورة الحجر: الآيات الكريمات (45 48).

(3) ســورة الفرقان: الآية الكريمة (64).

(4) ســورة الزمر: الآية الكريمة (9).

(5) الطبري: **جامع البيان**، مج 10 (23/ 129).

وأخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: مَن يدعوني فأستجيب له مَن يسألني فأعطيه مَن يستغفرني فأغفر له"[1].

ويقول النبي ﷺ: "إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة"[2].

المبــحث الثامن

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة في آخر الليل، (7/ 168).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، حديث (166) (1/ 521).

الإحسان

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

إن خُلُق الإحسان من أجلّ أخلاق الإسلام، ومن أعلى درجات الإيمان بالله عز وجل، فهو قمة الإسلام السامقة ودرجته النهائية، وهو لبّ الإيمان وروحه وكماله، الذي يجمع جميع الأخلاق الزكية والفضائل الحسنى والمقامات الروحية الإيمانية، وهو كمال الحضور مع الله، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته والإخلاص إليه.[2]

هذه المعاني كلها نلمسها من حديث ابن عمر عن أبيه الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه "...فأخبرني عن الإحسان ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[3].

كيف لا تكون منزلة الإحـ سان بهذا المقام وهو يدخل في كثير من شـ ؤون الإنسان من أخلاق وعبادات ومعامـ لات وغيرها:

ففي جانب العلاقات الأسرية: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[4].

وفـ ي العـ لاقات الاجتماعيـ ة: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[5].

---

[1] ســـورة الأعراف: الآية الكريمة (56).

[2] انظر: مراد، مصطفى: **خلق المؤمن**، ص 471.

[3] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، حديث (1) (37/1).

[4] ســـورة الإسراء: الآية الكريمة (23).

[5] ســـورة النساء: الآية الكريمة (86).

وفي العلاقات الزوجية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[2].

وعند اختلاف الآراء ووجهات النظر: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

ولخلق الإحـ سان آثار كثيرة وثمار جمّ ـة تعود على المـ سلم في الحياة الدنيا والآخرة، وهـ ذا ما تـ شير إليه كثير مـ ن الآيات التي ورد فيها مصطلح الإحـ سان فـ ي كتاب الله عز وجل، نذكر منها ما يلي:

1 - محبة الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

2 - استحقاق رحمة الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

3 - النظر الى وجه الله الكريم يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[6].

"والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم، وذلك هو أعلى مراتب الكمال الروحي الذي لا يصل إليه إلا المحسنون العارفون في الآخرة"[7].

---

(1) ســورة النساء: الآية الكريمة (19).

(2) ســورة البقرة: الآية الكريمة (229).

(3) ســورة النحل: الآية الكريمة (125).

(4) ســورة البقرة: الآية الكريمة (195).

(5) ســورة الأعراف: الآية الكريمة (56).

(6) ســورة يونس: الآية الكريمة (26).

(7) المراغي، أحمــد مصطفى: **تفـ سير المراغي**، مكتبة الحلبي، مصر، (ط1/ 1946مــ) (11/ 95)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (المراغي: تفسير المراغي).

4- دخول الجنة: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[1].

يقول الإمام الطبري: "هل ثواب خوف مقام الله عز وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربُه بأن يجازيه على إحسانه ذلك"[2].

5- التأليف بين القلوب: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ ﴾

المبحث التاسع

الصبر على الـــشدائد

الابتلاء والمحن والشدائد سنة من سنن الله عز وجل في خلقه ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[3]، فالإنسان ينتقل من بلاء الى بلاء ومن امتحان إلى امتحان الى آخر، ومن فتنة الى أخرى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [4].

لذلك فلابد لمن أراد الفوز في الدنيا والآخرة من أن يتسلح بسلاح الصبر والثبات على المحن، وعدم الجزع والحزن والاعتراض على قدر الله عز وجل.

يقول ابن القيم عن الصبر: "هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي"[1].

---

[1] ســـورة الرحمن: الآية الكريمة (60).

[2] انظر: الطبري: **جامع البيان**، مج 11 (27/ 89).

[3] ســـورة العنكبوت: الآية الكريمة (2).

[4] ســـورة البلد: الآية الكريمة (4).

وذكر الصبر في القرآن الكريم نحو تسعين موضعاً، وهو نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر.[2]

إن عظائم الأمور لا تقوم ولا تنجح إلا بعد الصبر والمثابرة، فقد سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه: "أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى فالله ابتلى أولي العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم".[3]

فالصبر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنزول الرحمات، فكلما نزل البلاء واشتدت المحن، فصبر الإنسان وتجلد، كلما كان ذلك أدعى الى نزول رحمة الله وعونه وتأييده.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[4].

يقول صاحب المنار في هذه الآية: "وأما الرحمة فهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من حسن العزاء وبرد الرضي والتسليم للقضاء، فهي رحمة خاصة يحسد الملحدون عليها المؤمنين، فإن

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: 1292هـ): **الفوائد**، مكتبة الحياة، بيروت، (بلا ط/ ت) ص 229، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن قيم الجوزية: الفوائد).

(2) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: 1292هـ): **تهذيب مدارج السالكين**، مؤسسة الرسالة (ط5/ 1996م)، (2/ 575)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن قيم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين).

(3) ياسين، د. محمد نعيم: **الجهاد ميادينه وأساليبه**، مكتبة الأقصى، عمان، (ط2/ 1981م)، ص 24، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (محمد نعيم: الجهاد ميادينه وأساليبه).

(4) سورة البقرة: الآيات الكريمات (155 157).

الكافر المحروم من هذه الرحمة في المصيبة تضيق عليه الدنيا بما رحبت حتى أنه ليبخع نفسه إذا لم يعد له رجاء في الأسباب التي يعرفها وينتحر بيده ويكون من الهالكين"[1].

إن المصاب ليس فقد الأصحاب والأحباب، وإنما أن يحرم الإنسان الأجر والثواب أسوة بالصابرين، فيا أيها المبتلى ابشر بصلوات من الله ورحمة وهداية الى الصراط المستقيم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾[2].

يقول النبي ﷺ: "ما لعبدي المؤمن عندي من جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة"[3].

ولا يتنافى الصبر والتثبت مع ما يكون من حزن الإنسان عند نزول المصيبة، بـ إن ذلك من الرحمة ورقة القلب، ولو فقد الإنسان هذه الرحمة لكان قاسياً لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، وإنما الجزع المذموم هو الذي يحمل صاحبه على ترك الأعمال الصالحة المشروعة والأخذ بعادات مذمومة لأجل المصيبة.[4]

ولقد وردت كثير من الآيات التي تبين عظيم جزاء الصابرين عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة ونذكر بعضا منها:

---

(1) رضا، محمد رشيد (ت: 1935م): **تفسير المنار**، مطبعه المنار، مصر، (ط1/ 1346هـ)، (2/ 41) وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (رضا: المنار).

(2) ســورة البقرة: الآية الكريمة (157).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله (7/ 172).

(4) انظر: رضا: **المنار** (41/2).

1. الصبر سبيل الى نزول رحمات الله: ﴿... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1].

2. الصبر هو طريق المؤمن الى الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[2] ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[3].

3. الصبر طريق النصر: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[4].

4. معية الله مع الصابرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

---

(1) ســـورة البقرة: الآيات الكريمات (155 157).

(2) ســـورة فصلت: الآيات الكريمات (30 35).

(3) ســـورة الإنسان: الآية الكريمة (12).

(4) ســـورة آل عمران: الآية الكريمة (135).

(5) ســـورة البقرة: الآية الكريمة (135).

5. الصبر يحقق لصاحبه الفوز بعظيم الأجر والثواب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1].

6. الصبر سبب في غفران الذنوب: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[2].

هذه جملة من الآيات القرآنية التي تبين مدى رحمة الله عز وجل بالصابرين، والمقام لا يتسع للإطالة في هذا الموضوع.

---

[1] ســورة الزمر: الآية الكريمة (10).

[2] ســورة الأحزاب: الآية الكريمة (35).

المبحث العاشر

طاعة الله ورســوله

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[1].

لقد أخبر الله عز وجل أن الإتصاف بهذه الصفات سبب الرحمة من الله جل وعلا، فمن إتصف بها فهو من أهل الرحمة، ثم بين أن رضى الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم وأنه هو النعيم الحقيقي: (ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم) (آل عمران72)

من أجل ذلك أمر جل وعلا المؤمنين بالإستجابه لله ولرسوله، مبيناً أن هذه الطاعة هي الطريق إلى الحياة الحقيقية، حياة العز والصلاح والرشاد لأنه يدعو إلى الحق والإيمان:

---

[1] ســورة التوبة: الآية الكريمة (71).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[1].

ثم بشر جل وعلا المطيعين بحسن العاقبة والمآل الطيب وهو الجنة: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[2].

قال الطبري: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به وأطاعوه واتبعوا الرسول وصدقوه فإن لهم الحسنى وهي الجنة.[3] وأما الذين لم يستجيبوا ولم يطيعوا فحذرهم من العاقبة الوخيمة والمصير المؤلم الذي لا بد منه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾[4].

نعم، فالطاعة من أهم أسباب الرحمة إذا كان الإنسان مستعدا لهذه الطاعة: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[5].

ومما يلفت الانتباه أن هذه الآية وردت في سياق الحديث عن النظام الربوي الذي يهدد المجتمعات بسبب عواقبه وآثاره الوخيمة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[6].

---

[1] ســورة الأنفال: الآية الكريمة (24).

[2] ســورة الرعد: الآية الكريمة (18).

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**، مج 7 (13/ 93).

[4] ســورة الرعد: الآية الكريمة (18).

[5] ســورة آل عمران: الآية الكريمة (132).

[6] ســورة آل عمران: الآية الكريمة (130).

فالربا هو أكل أموال الناس بالباطل، مما يؤدي الى انتشار الطبقية وتفشي الأحقاد والضغائن والكراهية بين الناس.

وفي سورة البقرة عند الحديث عن آيات الربا (261 286) نجد أن الآيات تحدثت عن صورتين من الناس، صورة مضيئة لصنف من الناس الأبرار، الذين ينفقون لسد حاجات الناس وتمكين روابط التعاون والتراحم بين طبقات المجتمع، وصورة أخرى مقيتة لطائفة من المستغلين الذين يتربصون بالناس ليأكلوا أموالهم بالباطل عن طريق الربا.[1]

كما بين النبي ﷺ بأن الطاعة سبيل الى الجنة عندما قال: "كل أمتي يدخلون الجنـــة إلا من أبى قالـ وا: ومن يأبى يا رسـ ول الله؟ قال مـ ن أطاعني دخـ ل الجنـ ة ومـ ن عصاني فقد أبى"[2].

المبحث الحادي عشر

التوبة والاستغفار

قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

الاستغفار هو طلب المغفرة، وهي الشئ الزائد على الستر، فمعناها الوقاية من شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه العبد، فمن غفر ذنبه لم يعاقب، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في

---

[1] انظر، عواد، محمد: **نور اليقين في معاني القرآن الكريم**، دار المقداد غزة، (ط2/ 2001مــ) ص 2003، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (عواد: نور اليقين).

[2] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله، (8/ 139).

[3] ســـورة النمل: الآية الكريمة (46).

الباطن، ومن عواقب الذنب باطناً وظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب.[1]

وللاستغفار أهمية عظمى في الإسلام لما له من آثار طيبة في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، من هنا نلمس السر في كثرة الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الاستغفار، حيث وردت مادة (غ. ف. ر) في كتاب الله عز وجل مائتين واثنتين وثلاثين مرة.[2]

وفي كتاب الله عز وجل كثير مـ ن الصفات التي وصـ ف الله جـ ل وعلا بها نفـ سه، والتي تـــدل على سـ عة مـ غفرة الله ورحمتـ ه لعباده مثـ (الغافـ ر، الغفور، الغفار، واسـ ع المغفرة، أهـ المغفرة).[3]

وإذا نظرنا الى ســـيرة الأنبياء وجدنا أن الاسـ تغفار سـ نة مـ ن سـ نن الله عز وجـ فيهم، لأن مـــن المعاني التي يوحيها الاسـ تغفار: الـ فقر لله والتذلل وطلب الرحمـ ة، والأنبياء قدوتنا في هذا الأمر.

فهذا أبو الأنبياء آدم عليه الصلاة والـ سلام عندما اسـ تزله الـ شيطان في الجنة، لجأ إلى الله بالاستغفار يطلب الرحمة والمغفرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

---

[1] انظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ): الاستغفار وأهميته وحاجة العبد إليه، دار ابن حزم، بيروت (ط1/ 1995مـــ)، ص 15، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقًا (ابن تيمية: الاستغفار).

[2] انظر: عبد الباقي: المعجم المفهرس، ص 499 503.

[3] انظر: المحلاوي، د. رمضان: **من أخلاق الإسلام**، مركز الكتاب للنشر، (ط1/ 2006مـــ)، ص 116، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (المحلاوي: أخلاق الإسلام).

[4] ســـورة الأعراف: الآية الكريمة (23).

وهذا نبي الله موسى عليه السلام عندما قتل نفساً بغير قصد، فاعترف بظلمه، طلب المغفرة من الله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وهذا نبينا محمد ﷺ يقول: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"[2].

فالاستغفار باب واسع وسبب رئيس من أسباب الرحمة الإلهية، وهذا ما نلحظه في جملة من الآيات التي تبين فوائد الاستغفار على النحو التالي:

1. إن الاستغفار سبب للرحمة الإلهية: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3]؛ أي: "هلا تتوبون إلى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة، وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، يقول: ليرحمكم باستغفاركم"[4].

2. إن الاستغفار يمثل صمّام الأمان في الحياة الدنيا من عذاب الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5].

3. الاستغفار سبب من أسباب البركة في الأموال والأولاد: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾[1].

---

(1) سورة القصص: الآية الكريمة (16).

(2) مسلم: **صحيح مسلم ومعه شرح النووي**، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار، مج 9 (17/ 23).

(3) سورة النمل: الآية الكريمة (46).

(4) الطبري: **جامع البيان**، مج 9 (19/ 107).

(5) سورة الأنفال: الآية الكريمة (23).

يقول الإمام الطبري معلقاً على هذه الآية: "إذا تبتم الى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثَر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد"[2].

4. بالاستغفار تكفّر السيئات ويدخل الإنسان الجنة: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

أي: لهم الجنة التي عرضها السموات والأرض ووعدهم بالعفو عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم.[4]

المبحث الثاني عشر

---

[1] ســـورة نوح: الآيات الكريمات (10 12).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (7/ 124).

[3] ســـورة آل عمران: الآية الكريمة (135).

[4] انظر: المرجع السابق، (2/ 119).

إصلاح ذات البين

إن من تمام نعم الله التي أسبغها على عباده المؤمنين، أن جعلهم أمه واحدة متراحمة متعاطفة كأنها جسد واحد ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ويقول ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2].

لكن قد يقع الخلاف والخصام بين فئات من المؤمنين، بين الرجل وزوجته، وبين الرجل وأخيه أو قريبه، وغالباً ما يكون الخلاف أمراً بسيطاً لو أحسن بعض الناس التصرف، ولكن الشيطان لن يتوانى في التحريش بين الناس وإذكاء نار الفتنة والخصومة، حتى يتحول هذا الخلاف البسيط إلى نار تأكل الأخضر واليابس فتنتهك الحرمات والأعراض، وتقطع الأرحام وتسفك الدماء ويتفشى الفساد.

والإسلام حرص على وحدة المسلمين وأكد على أخوتهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] وحث على التأليف بين القلوب، ومحاربة أسباب الفتن والفساد، ودعا الى الإصلاح بين المسلمين ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾[4].

بل إن الرسول ﷺ رفع من مكانة من يسعى في الإصلاح بين المتخاصمين وجعل درجته أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة لمن أراد أن يتطوع بهن فقال: "ألا

---

[1] ســورة الأنفال: الآية الكريمة (63).

[2] سبق تخريجه، (انظر: ص 28).

[3] ســورة الحجرات: الآية الكريمة (10).

[4] ســورة الحجرات: الآية الكريمة (9).

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقه"[1].

إن الخصام والهجران بين الإخوة من أكثر ما يهدد المجتمع المؤمن بالفرقة والتمزق لذلك حذرنا النبي ﷺ وهو يقول: "لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا"[2].

"إن الخصومة إذا نمت وغارت جذورها وتفرعت أشواكها شلّت زهرات الإيمان الغضّ، وأذوت ما يوحي به الإسلام من حب وحنان، وذلك أن الشر إذا تمكن من الأفئدة تنافر ودّها وارتد الناس إلى حال من القسوة، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض"[3].

"إن المسلمين مأمورون بالتظاهر والتعاون والاجتماع على الصلوات وفي الأعياد والجهاد في سبيل الله، فإذا بَعُدَ ذات بينهم تقاطعوا ولم يجتمعوا على الصلوات ويحرنوا عن الجهاد ولم يضع بعضهم زكاة ماله في بعض، وفي هذا زوال الأمر عن نظامه وذهاب الدين من قوامه، ولا يؤمَن أن يُترامى الى تجريد السيوف من بعضهم على بعض ومفارقة الإمام وتعطيل الحدود والأحكام، وما كان مآله هذا الفساد، فحسم مادته في الابتداء من أوجب الأمور وألزم الفروض"[4].

---

(1) الترمذي: **السنن**، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب: صلاح ذات البين، حديث (2697)، (2/ 639)، وقال الترمذي: حديث صحيح.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، (7/ 88).

(3) الغزالي: **خلق المسلم**، ص 91.

(4) الحليمي: **المنهاج** (3/ 413).

ومن خلال الآيات الواردة في سورة الحجرات، يتبين أن الخلاف والخصام عاقبته الندم والعذاب ﴿ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1]، وأن صلاح ذات البين عاقبته الرحمة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2].

ويعلق سيد قطب على الآيات مبيناً أنها جاءت كقاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك تحت النزوات والاندفاعات، تأتي تعقيباً على تبيّن خبر الفاسق وعدم العجلة والاندفاع وراء الحميّة والحماسة، قبل التثبت والاستيقان.[3]

ثم تحدث سيد عن الأخوة الإيمانية بين المسلمين ذاكرا أنه ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف والفرقة هو ظرف استثنائي لا يدوم[4].

---

[1] ســـورة الحجرات: الآية الكريمة (6).

[2] ســـورة الحجرات: الآية الكريمة (10).

[3] انظر: قطب: **الظلال** (6/ 3343).

[4] انظر: المرجع السابق.

المبحث الثالث عشر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، والهمّ الذي إبتعث الله به النبيين أجمعين، فلو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتفشت الضلالة وعمّت الجهالة وخربت البلاد، وهلك العباد، وكثر الفساد، فهو سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].[2]

فمن حمل هذا اللواء حاز على شرف الخيرية من الله عز وجل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[3]، فكان ذلك سبباً في نجاته من عذاب الله يوم القيامة ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[4].

---

[1] ســورة آل عمران: الآية الكريمة (104).

[2] انظر: القاسمي: **موعظة المؤمنين** ص 177.

[3] ســورة آل عمران: الآية الكريمة (110).

[4] ســورة الأعراف: الآية الكريمة (165).

كيف لا يكون هذا الأمر سبباً في رحمة الله عز وجل، وقد جعله الله فيصلاً بين المؤمنين والمنافقين ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1].

فبذلك كانوا من الذين نسيهم الله عز وجل في عذاب جهنم وممن طردهم الله من رحمته فقال: ﴿... نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ...وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[2].

واللعنة من الله إنما هي الطرد من رحمته.[3]

أما المؤمنون فمن أخلاقهم وصفاتهم أنهم: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[4]، فبذلك استحقوا رحمة الله جل وعلى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[5].

ولقد وصف الله عز وجل قوماً لعنهم الله من بني إسرائيل، وما كان ذلك، إلا بسبب تنكرهم وإعراضهم عن خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عز وجل: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

---

[1] ســورة التوبة: الآية الكريمة (67).

[2] ســورة التوبة: الآيتان الكريمتان (67 68).

[3] انظر:ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (5/ 517).

[4] ســورة التوبة: الآية الكريمة (71).

[5] ســورة التوبة: الآية الكريمة (71).

﴿ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1].

المبحث الرابع عشر

الهجرة في ســــــبيل الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

---

[1] ســـورة المائدة: الآيتان الكريمتان (78 79).

[2] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (218).

لقد كانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة من أهم المفاصل في تاريخ الدعوة الإسلامية، لما كان لها من آثار كبيرة ليس فقط في عصر النبي ﷺ وإنما لكل عصر من عصور الدعوة، حيث إن الحياة التي أنشأها النبي ﷺ قامت على أسس المساواة والعدل والرحمة والإحسان الى كل الأمم والشعوب، وسيرة النبي ﷺ لا يحدها زمان ولا مكان، فهو الذي أرسله الله رحمة بالعالمين.

فالهجرة لم تكن انتقالاً بدنياً أو مادياً فحسب، وإنما كانت انتقالاً بالنفوس من حال إلى حال، من الضعف إلى القوة، ومن القلة إلى الكثرة ومن العزلة إلى الحركة، لذلك ما أحوج المسلمين اليوم الى مثل هذه الهجرة التي تكون في سبيل الله، لكن ليس هجرة من وطن إلى وطن، وإنما الهجرة مـن الحرام إلى الحلال، ومن المعصية الى الطاعة، ومن الفرقة إلى الجماعة، ومن الذلة إلى العزة والكرامة، فإذا فعل المسلمون هذه الخطوة، فقد سلكوا طريق الرحمة والعزة والتمكين.

ولما تحمله الهجرة من معان سامية في تربية النفوس، فقد عُنيَ القرآن بهذا الأمر عناية كبيرة حتى جاء الحديث عن هذا الأمر في كتاب الله أكثر من عشرين مرة.

ومن أجمل ما قرأت في هذا الموضوع ما لخصه سيد قطب وهو يتحدث عن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]، مبيناً أن المنهج الرباني القرآني يعالج في هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة وهي تواجه مخاطر الهجرة، فهو يحدد أن هذه الهجرة في سبيل الله، في سبيل الشهوات والملذات، وليس هجرة للنجاة من المتاعب، ولا لأي غرض من أغراض الدنيا، فمن كانت هذه نيته يجد في الأرض فسحة ومنطلقاً فلا تضيق به الأرض، ولا يعدم الوسيلة ولا الحيلة للنجاة وللرزق والحياة، ثم يمضي بقوله: ومع ضمان

[1] سـورة النساء: الآية الكريمة (100).

هـ ذا الأجر، كان التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، ومن تقاعس عن مثل هذا الخروج، فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة، وشتان ما بين صفقة وأخرى.[1]

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

المبحث الخامـــس عشر

الجهاد في سبيل الله

---

[1] انظر: قطب: **الظلال** (2/ 745).

[2] ســـورة آل عمران: الآية الكريمة (195).

[3] ســـورة النحل: الآية الكريمة (41).

لم تكن دعوة النبي ﷺ مقصورة على معرفة الله عز وجل، أو على معرفة العقائد والعبادات المقربة إليه، والجالبة لحبه ورضاه، وإنما كان الجهاد في سبيل الله ركناً من أركان هذا الدين، وأحب الأعمال الى الله.

ولما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبلته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، فاستولى على أنواعه كلها، فجاهد بالقلب والبيان والسيف والسنان، لهذا كان أرفع العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله ذكراً.[1]

والجهاد في سبيل الله من أجل تبليغ هذا الدين الى كافة أصقاع الأرض لا يتعارض مع حرية الاعتقاد والتدين التي حفظها الإسلام لكل الناس، فالجهاد لا يهدف الى إجبار الناس على الدخول في دين الله، وإنما إزالة كافة المعوقات والحواجز المادية التي تحول بين الناس وبين الدخول في دين الله، وبعد ذلك يترك الناس أفراداً يختارون عقيدتهم أحراراً من كل ضغط، على أن لا تكون العقيدة المخالفة للإسلام على شكل تجمع له قوة مادية يفتن الناس في اختيار عقيدتهم التي يشاءون ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].[3]

كما أن للجهاد فوائد كثير وأهداف نبيلة يريد الإسلام تحقيقها في واقع الناس ومنها ما يلي:[4]

---

[1] انظر: ابن القيم: **زاد المعاد** (1/ 55).

[2] ســـورة الأنفال: الآية الكريمة (39).

[3] انظر: قطب: **الظلال** (3/ 1509).

[4] انظر: أبو فارس، د. محمـــد عبـــد القادر: **الجهاد ف ي الكتاب والد سنة**، دار الفـــرقان، عـــمان، (ط1/ 1998مـــ) ص 28 31، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (أبو فارس: الجهاد).

1. حماية المستضعفين من الرجال النساء والولدان: فهذه صورة من صور التكافل الأمني بين المسلمين، فالنساء والولدان الذين لا قدرة لهم على القتال والدفاع عن أنفسهم، يتكفل الأقوياء بحفظ أمنهم، وصد كل معتد عليهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[1].

قال الرازي: "تدل الآية على أن الجهاد واجب، ومعناه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين ما بلغ في الضعف"[2].

2. توفير الحرية العقدية والدينية والتعبدية لجميع الناس: فمن المقرر شرعاً إعطاء كافة الناس الحرية في الدين الذي يرتضونه دون إكراه أو فتنة في الأموال والأنفس قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[3].

3. توفير الحياة الكريمة لأهل الجهاد: وفي هذا السياق وردت كثير من الآيات الكريمة التي تشير إلى آثار الجهاد من غنائم وأنفال وجزية، مما يعود على المقاتلين وأسرهم والمجتمع كله من التوسعة في الرزق والمعيشة.

4. المحافظة على هيبة الدولة الإسلامية وسيادتها، لهذا أمر الله المسلمين أن يكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة كل طارئ، وأن يعدوا لذلك كل عدة، فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[4].

---

[1] ســورة النساء: الآية الكريمة (75).

[2] الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار الكتب العلمية، طهران، (ط 2/ بلا ت) (10/ 181)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الرازي: التفسير الكبير).

[3] ســورة الأنفال: الآية الكريمة (39).

[4] ســورة الأنفال: الآية الكريمة (60).

5. إن ترك الجهاد يؤدي إلى فوات كل هذه الفوائد والحكم، لذلك فقد حذر الله عز وجل من مغبة ذلك، وتهدد بالوعيد الـ شديد والعذاب الأليم لمـ ن عطـ ل الجهاد، فقال سـ بحانه: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾[1].

[1] ســورة التوبة: الآية الكريمة (39).

الفصل الثالث

معالم الرحمة الإلهية وآثارها في القران الكريم

وفـ يه مبحثان:

المــبحث الأول: معالم الرحمـ ـة الإلهيـ ـة وآثارها فـ ـي الـ ـ شريعة الإسـ ـلامية وفيـ ـه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شريعة الرحمة.

المطلب الثاني: معالم الرحمة الإلهية في العبادات.

المطلب الثالث: معالم الرحمة الإلهية في نظام المعاملات المالية.

المطلب الرابع: معالم الرحمة الإلهية في نظام العقوبات.

المبحث الثاني: جوانب أخرى للرحمة الإلهيـ ـة في القران الكريم وفيـ ـه مطلبان:

المطلب الأول: الرحمة الإلهية في إنزال القران الكريم منجماً.

المطلب الثاني: محمد ﷺ رحمة للعالمين.

المبحث الأول

معالم الرحمة الإلهية وآثارها في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: شد ريعة الرحم ة:

أولاً: أهمية الشريعة بالنسبة للإنسان:

إن الإنسان مهما ارتقى وتطور وبلغ من العلم ما بلغ، إلا أنه يبقى عاجزاً عن تصريف أمور حياته، إلا بحفظ من الله ومعونته وتوجيهه، وذلك أن نظرة الإنسان إلى الأمور قاصرة محدودة، فإن نظر إلى جانب أهمل جوانب أخرى قد تكون أكثر أهمية مما نظر إليه، مما قد يذهب عنه الخير الكثير أو يجلب عليه من الشرور ما لا يحمد عقباها.

لذلك فالإذ سان في أم س الحاجة إلى من يوجهه ويرشد ده إلى ما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وليـ س أقرب له في ذلك مـ ن شد ريعة الله التي أنزلها رحمـ ة بالعالمين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فهي سبيل الخير والفلاح والهداية، ومن تمسك بها وصل ونجا، ومن تنكب طريقها أصابه الضنك والشقاء ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[2] ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾[3].

---

[1] ســورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

[2] ســورة البقرة: الآية الكريمة (120).

[3] ســورة طه: الآية الكريمة (124).

وذكر ابن القيم ما يبين حاجة الناس للشريعة: فأشارت إلى أنها نور الله الذي أبصر به المبصرون وهداه الذي اهتدى به المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وهي الطريق المـ ستقيم، الذي مـ ن اسـ تقام عليه فقد اسـ تقام على سواء الـ سبيل، فهي حياة القلوب، ولذة الأرواح، وهـ ي الحياة والغـ ذاء والدواء والنـ ور والـ شفاء والعصمـ ة، فكل خير في الوجود بسببها، وكل نقص فبإضاعتها.[1]

إن الله عز وجـ ل ما أرسـ ل الرسـ ل وأنزل الـ شرائع إلا لإقامـ ة نظام البـ شر على كـ ل ما فيه مـ ن خـ ير لهم ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[2].

وشـ ريعة الإسـ لام هي خاتمة الـ شرائع السماوية، وأعظمها وأقومها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[3]، وما جاءت إلا بما فـ يه صلاح البـ شرية في العاجل والآجل، وحاضر الأمور وعواقبها،[4] قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[5].

فحاجـ ة الناس إلى مثل هـ ذه الـ شريعة، حاجـ ة ما مثلها حاجـ ة، وضرورة ما فوقها ضرورة، فحاجتهم إليها فوق حاجاتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم إليها، ألا ترى

---

[1] انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمـد بن أبي بكر الجوزي الدمـشقي، (ت: 751هـ): **أعـلام الموقـعين عن رب العالمين**، الطباعة المنيرية، (بلا ط/ ت) (4/ 225)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن القيم: أعلام الموقعين).

[2] سـورة الحديد: الآية الكريمة (25).

[3] سـورة آل عمران: الآية الكريمة (19).

[4] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: **مقاصد الـشريعة الإسلامية**، دار سحنون، تونس، (بلا ط/ 2006مـ)، ص 11 وسيشار إلى هذا المصدر (ابن عاشور: مقاصد الشريعة).

[5] سـورة المائدة: الآية الكريمة (3).

أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولكن لا يمكن لأحد أن يعيش دون شريعة الله، حيث إن مبناها تعريف الإنسان بمواقع رضى الله وسخطه، فحاجة الناس للشريعة أكثر من حاجتهم للطعام والشراب، لأن غاية ما يكون عند عدم الطعام والشراب، موت البدن، وأما عند عدم وجود الشريعة في حياة الناس، فلا يكون إلا موت الروح والقلب، وشتان بين ما يترتب على هذا الموت وذاك.[1]

"فالشريعة هي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة"[2].

ثانياً: المقاصد العامة للشريعة:

أحكام الشريعة في جملتها معللة، وأن لها مقاصد في كل ما شرعته، وهذه المقاصد والعلل والحكم معقولة ومفهومة في الجملة بل معقولة ومفهومة تفصيلاً إلا في بعض الأحكام التعبدية المحضة، والتي كان من الحكمة المعقولة ألا يُعرف تفصيل ما ورائها من أسرار، فالشريعة لم تأت بأحكام تعبدية تحكمية، تأمر وتنهى وتحلل وتحرم، دون أن تقصد شيئاً من وراء ذلك، فقد ثبت بالأدلة القطعية أن الله لا يفعل الأشياء عبثاً ولا يخلقها سدى، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[3].[4]

---

[1] انظر: ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزي الدمشقي، (ت: 751هـ): **مفتاح دار السعادة ومنشور علم الولاية والإرادة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ط/ ت) (2/ 2)، وسيشار إلى هذا المصدر (ابن القيم: دار السعادة).

[2] شلتوت، محمود: **الإسلام عقيدة وشريعة**، دار القلم، القاهرة، (ط2/ بلا ت)، ص 22، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة).

[3] سورة الدخان: الآية الكريمة (38).

[4] انظر: القرضاوي، د. يوسف: **مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط2/ 1997م) ص51، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (القرضاوي: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية).

لذلك سأتعرض في هذا المطلب إلى بعض المقاصد العامة للشريعة الإسلامية موضحاً أثر الرحمة الإلهية من هذه المقاصد سواء على الفرد أو الجماعة.

وه ذه المقاصد د هي:

1. رعاية مصالح المكلفين.
2. إقامة العدل بين الناس.
3. المساواة.

1. رعاية مصالح المكلفين:

إن الشريعة الإسلامية أقامت أحكامها على رعاية مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة على حد سواء، فمن أهم خصائص الشريعة الإسلامية أنها شريعة الرحمة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

كما أن الله سد بحانه وتعالى أودع في كتابه هــذه الــشريعة القرآن الشفاء والهدى والرحمة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2].[3]

---

[1] ســورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

[2] ســورة يونس: الآية الكريمة (57).

[3] انظر: حسين، محمد الخضر: **الــشريعة الإســلامية صالحة لكــل زمان ومكان**، مجلة الأزهر، (بلا ط/ 1428هــ) (1/ 31)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (حسين: الشريعة الإسلامية).

فالآيتان السابقتان تدلان على أن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا نبينا محمداً ﷺ لكي يحقق لنا الرحمة، والرحمة غاية المصلحة، كما وصف القرآن بأنه شفاء لما في الصدور من الغل والحقد والشك والحسد وغير ذلك، وفي ذلك مصلحة عظيمة، كما أنه أبرز لهم قيمة وقدر ما أنعم الله عليهم بالرسالة الأمر الذي يستوجب منهم السعادة والهناء والوقوف عليه.[1]

لذلك فمن استقرأ آيات الشريعة الغراء، وتأمل ما جاءت به، تبين له أنها قصدت إقامة مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم، حتى في أمور العبادات والتي هي في الغالب تقوم على القصد وليس التعليل، إذ إن الله سبحانه وتعالى غني عن عبادة العباد وهم الفقراء إلى رحمته فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وإنما يعود ذلك عليهم ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾[2].

فلقد اقتضت حكمة الله جل وعلا ورحمته أن يعبده خلقه بما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[5]

---

[1] انظر: برج، د. أحمد محمد إســماعيل: **أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، (بلا ط/ 2004مــ)، ص 47، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (إسماعيل برج: أثر العبادات).

[2] ســورة النمل: الآية الكريمة (40).

[3] ســورة المائدة: الآية الكريمة (6).

[4] ســورة العنكبوت: الآية الكريمة (45).

[5] ســورة التوبة: الآية الكريمة (103).

فإذا كان هـ ذا الحال في أمور العبادات، فكيف بأمـ ور المعامـ لات والعـ لاقات التي تنظم حـ ياة الناس وعـ لاقاتهم فـ ي الدنيا، لذلك فالـ شريعة ما جاءت إلا لرعايـ ة مصـ الح المكلفيـ ن، هـ ذه مصـ الح كما حددها العلماء تقوم على ثلاثـ ة ركـ ائز وهي: (الضروريات والحاجيات والتحسينيات).[1]

فالضروريات: هي ما لابد منها لقيام مصالح الدنيا والدين، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على اسـ تقامة، بـ ل على فـ ساد وتهارج وفوت للحياة الدنيا، وفـ ي الآخـ رة فوات للنـ جاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، وهذه الضروريات تتمثل في خمسة أمور: (حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل)، فمصالح الدنيا والدين مبنية على هذه الأمور الخمسة، فلو خرقت أو انعدمت انعدم الدين والدنيا بالنسبة للمكلف.[2]

وأما الحاجيات: فهي ما يقتصر عليها من حيث التوسعة ورفع الحرج بحيث إذا لم تراع أصاب المكلفين الحرج والمشقة.[3]

وأما التحسينيات: فهي الأخذ بمكارم الأخلاق وجميل العادات، وتجنب المدنسات التي تأباها العقول السليمة الراجحة.[4]

من خلال هذه الأسس الثلاثة التي تدور عليها مصالح الكلفين تبين سعة الرحمة الإلهية وشمول المصلحة التي دعت إليها الشريعة الغراء، فهي ليست المصلحة التي تحققت بحساب طرف على آخر، أو فرد على جماعة أو العكس من ذلك، ولكنها المصلحة القائمة على التوازن

---

[1] انظر: الـــشاطبي، أبا إســـحاق إبراهيم بن موســـى اللخمي الغرناطـــي المالكي (ت: 790هــ): الموافقات **في أصول الشريعة**، دار المعرفة، بيروت، (ط2/ 1975مــ) (2/ 8)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً، (الشاطبي: الموافقات).

[2] انظر: المرجع السابق (2/ 8).

[3] انظر: المرجع نفسه، (2/ 10).

[4] انظر: الــشاطبي: الموافقات **في أصول الشريعة** (2/ 11).

والتناسق والتناغم بين جميع الأطراف، الدنيا والدين والروح والجسد، الفرد والجماعة...، فهي المصلحة التي أحاطت بكافة الكليات والجزئيات فالبشر أعجز عن هذه الإحاطة لولا الرحمة في شد ريعة الله.[1]

2. تحقيق العدالة بين الناس:

إذا كانت الشريعة الإسلامية شريعة الرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] فإن إقامة العدل بين الناس من أهم معالم هذه الرحمة لذلك نجد أن القرآن الكريم أولى هذا الأمر من الأهمية عناية فائقة، حيث وردت كلمة (عدل)، أو أحد مشتقاتها، عشرين مرة، كما وردت كلمة (الظلم) أو أحد اشتقاقاتها مائتين وتسع وتسعين مرة مما يدل على عناية القرآن بالعدل والنهي عن ضده وهو الظلم ومن هنا لا بد من الإشارة إلى أمرين:[3]

1. أن الشريعة تقوم على فكرة العدل الكامل، بحيث تنظر إلى الناس جميعا نظرة واحدة لا فرق فيها بين سيد ومسود ولا رفيع ووضيع.
2. إن مي زان التفاضد ل الذي تقوم عليه الد شريعة، إنما ه و مي زان التق وى لله عز وجل ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[4].

فالعدل هو نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في

---

[1] انظر: القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، ص 58.

[2] ســورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

[3] انظر: موســى، د. حمد يوســف: **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه**، مكتبة الفلاح، الكويت، (ط3/ 1978مــ)، ص 22 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقا، (د. موسى: الإسلام).

[4] ســورة الحجرات: الآية الكريمة (13).

الآخرة، فإن الله عز وجل يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.[1] بل إن الله عز وجل جعل الهدف من إرسال الرسالات السماوية، إقامة العدل بين الناس، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[2].

وهـ ذه الآية تدل على أمرين اثنين: [3]

أ- أن القوة يجب أن تكون ملازمة للعدالة، لأن العقاب هو سبيل لتحقيق هذه العدالة ومنع الفساد في الأرض.

ب-أن العدالة هي أساس النبوات، فإن كانت الرحمة أمراً مشروعاً مطلوباً، فلا بد أن تكون موازية للعدل، لأن الرحمة هي الغاية العامة لكل ما جاءت به النبوات، فلا يكون عدل إلا ومعه الرحمة، ولا يمكن أن يكون بالظلم أي معنى للرحمة.

إن كل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الإنسان، ميزانا ثابتا لا يتغير، ترجع إليه البشرية لتقويم الأعمال والأحداث والرجال، وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطرابات الأهواء، واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع، ميزاناً لا يحابي أحداً، لأنه يزن بالحق الإلهي، هذا هو الميزان الذي تجد البشرية عنده العدل والحق والنصفة.[4]

---

[1] انظر: ابن تيميــة، أحمد بــن عبد الحليم: **الاســتقامة**، تحقيق: د. محمد رشــاد ســالم، مؤســــسة قرطبة، مصر، (ط2/ 1409هـ) (2/ 248)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن تيمية: الاستقامة).

[2] ســورة الحديد: الآية الكريمة (25).

[3] انظر: أبو زهرة، محمد: **الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي**، دار الفكر العربي، (بلاط/ ت)، ص 13، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (أبو زهرة: الجريمة والعقوبة).

[4] انظر: قطب: **الظلال** (6/ 3494).

ومن الجدير بالذكر أن آية الأمر بالعدل في سورة النحل جاءت مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وفي هذا دلالة على أن إقامة العدل من أعظم معالم الرحمة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

فالشريعة ما جاءت إلا لإقامة العدالة المطلقة بين البشرية جمعاء، وصيانة الدماء والأعراض والأموال، كما صانت الأخلاق، فغايتها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد هذه العدالة التي جعلها النبي ﷺ واقعاً عملياً في سيرته عندما قال: "و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[2].

كما أن المتأمل في أحكام الشريعة يجد أن العدل أصل من أصولها، ومقصد توخته في كافة جوانبها المعاملات والعبادات، والعلاقات الدولية والأسرية، وفي السلم والحرب لذلك ومن أجل هذه الاعتبارات كان من المستحيل أن يتحقق العدل بتشريع بشري أو قانون قاصر النظر، أما الذي ينظر النظرة الشاملة المحيطة بكل شيء فهو الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[3] .[4]

ففي ظل شريعة الله ساد العدل وعم الخير، فشرع الله لا يظلم أحدا أو يحابي لأجل دين أو لون أو جنس بل إنه قد نزل من القرآن الكريم ما يدافع عن يهودي اتهم ظلما و زوراً.[5]

---

(1) ســورة النحل: الآية الكريمة (89).

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، (8/ 16).

(3) ســورة الملك: الآية الكريمة (14).

(4) انظر: القرضاوي، د. يوســف: **شــريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان**، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط1/ 1973مــ)، ص 20، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (القرضاوي: شريعة الإسلام).

(5) انظر: الطبري: **جامع البيان**، مــج 4 (5/ 172) (الآيات 105 110 من سورة النساء).

إن شريعة الله عدل كلها، ورحمة كلها، ومصلحة كلها، فأي مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها، أو من المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة، وإن أدخلت عليها كل تأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه.[1]

3. المساواة:

إن من أبرز الأصول التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، قضية المساواة بين أفراد المجتمع المسلم، أو من يعيش في ظلاله من أهل الذمة، فشرع الله بالإسلام مبدأ المساواة ونشر ظلاله في ربوع الأرض، بأسلوب مثالي فريد، بحيث عجزت أمامه كل الأنظمة والقوانين التي تنادي بالمساواة بين الأفراد، فأفراد المجتمع المسلم على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وطبقاتهم سواسية كأسنان المشط في الحقوق والواجبات العامة، لا فرق ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وقد قرر القرآن الكريم أن الكل عبيد لله، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾[2]، ثم بين القرآن أن الناس أسرة واحدة، مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم لأنهم يجتمعون على أب واحد وأم واحدة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾[3]، ثم جاء القرآن وألغى جميع الفوارق والموازيين للتفاضل والتمايز، إلا ميزان التقوى، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[4].[5]

---

[1] انظر: ابن القيم: **أعلام الموقعين** (4/ 226).

[2] سورة مريم: الآية الكريمة (93).

[3] سورة النساء: الآية الكريمة (1).

[4] سورة الحجرات: الآية الكريمة (13).

[5] انظر: الغزالي: **هذا ديننا**، ص 44.

لقد ألغى الإسلام كل عوامل التمييز والتفرقة بين الناس عنصرية كانت أو إقليمية أو لونية أو طبقية ووجه خطابه إلى الناس كافة، لا إلى طائفة خاصة منهم، مبيناً وشائج القربى بين بني البشر، فهم جميعاً عباد لرب واحد، خلقهم فسواهم، وهم جميعاً أبناء رجل وامرأة، فقد ربطت بينهم العبودية لله والبنوة لآدم وزوجه.[1]

لقد أبهر الإسلام الأمم قاطبة بمبدأ المساواة، هذا المبدأ الذي جعل سلمان الفارسي وصهيب بن سنان الرومي، صاحبي شأن ومكانة في الإسلام، هذا المبدأ الذي حول بلال بن رباح من عبد حبشي لا وزن له ولا قيمة له في ظل الجاهلية إلى سيد من سادات الإسلام.

ثم أخذ النبي ﷺ بعد ذلك بتطوير هذا المبدأ، فسما به إلى درجة المؤاخاة الروحية، وذلك تطبيقاً لمنهج الله تعالى في المساواة بين عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] كيف لا يكون هذا حال المجتمع وقد كان رسول الله ﷺ قدوتهم، ومثلهم الأعلى في مبدأ المساواة: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[3].

ثالثاً: عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية:

إن من الحقائق المسلم بها، أن الشريعة الإسلامية قد وسعت العالم الإسلامي كله، على تنائي أطرافه وتعدد أجناسه وتنوع بيئاته الحضارية وتجدد مشكلاته الزمنية، فلم تقف يوماً من الأيام مكتوفة اليدين أمام مستجدات العصر منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإنما تستطيع الشريعة أن تفي بكل حاجات المجتمعات،

---

[1] القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة**، ص 125.

[2] سورة الحجرات: الآية الكريمة (10).

[3] سورة الكهف: الآية الكريمة (110).

وأن تعالج كافة المشكلات في كافة البيئات، بأصلح الحلول، حيث إن الله أودع أصولها وقواعدها، مرونة جعلتها تتسع لمواجهة كل طريف، ومعالجة كل جديد، دون عنت ولا حرج.[1]

وفي هذا المبحث لن يكون الحديث عن مظاهر السعة والمرونة التي اختصت بها الشريعة، فلهذا مبحث خاص لاحق، وإنما سيكون الحديث عن أهم العوامل التي ساهمت في هذه المرونة حتى جعلتها شريعة الرحمة وهذه العوامل على ثلاثة أوجه:

العامل الأول: اتساع منطقة العفو في الشريعة الإسلامية.

العامل الثاني: مراعاة الظروف والطوارئ.

العامل الثالث: اهتمام النصوص بالأحكام الكلية.

العامل الأول: سعة منطقة العفو في الشريعة الإسلامية.

وهذا العامل يلحظه كل من له ولو علم قليل بالشريعة الإسلامية ومقاصدها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2] أي "لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها و ترك فرضها أو تفصيلها ليكون في الإجمال سعة"[3].

ومنطقة العفو هذه ما تركت سهوا، وإنما بقصد من الشارع الحكيم جل وعلا، رحمة ورأفة بالناس، لقول النبي ﷺ: "إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض

---

[1] انظر: القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة**، ص 139.

[2] ســورة المائدة: الآية الكريمة (101).

[3] قطب: **الظلال** (2/ 922).

فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم، ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها ولا تبحثوا فيها"[1].

ومـ ن خـ لال الآيات الواردة في قصـ ة البقرة مع بني إسـ رائيل مـــن ســـورة البقرة (66 73)، يتبين أن الشرائع التي انزلها الله كانت سمحة ميسرة، إلا أن الناس هم الذين شددوا على أنفسهم حتى شدد الله عليهم.

وملء هذه المنطقة متروك لاجتهاد المجتهدين وعلماء هذه الأمة في كل زمان ومكان بما هو أصلح لحالهم، مع مراعاة المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مهتدين بروح الشريعة ومحكماتها من النصوص، وقد ســميت هذه المنطقة (منطقة العفو) أخذاً من الحديث الـ شريف "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا"[2]، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[3]، وهذا كله يدل على أن تعليل التكاليف، وتوسيع منطقة العفو، كان مقصوداً من الشارع الذي أراد لهذه الشريعة العموم والخلود والصلاحية لكل زمان ومكان.[4]

العامل الثاني: مراعاة الظروف والطوارئ:

إن من أهم تجليات الشريعة الإسلامية أنها نظرت نظرة خاصة إلى الظروف الاستثنائية التي قد تطرأ على الناس، أفراداً وجماعات، فشرعت لها أحكاماً خاصة بها، وذلك وفقا للمنهج

---

[1] الحاكم، أبو عبد الله النيســابوري: **المســـتدرك على الصحيحين**، دار الكتاب العربي، بيروت، (بلا ط/ ت)، كـــتاب الأطعمة، باب: الله حد حدوداً، (4/ 115)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الحاكم: المستدرك).

[2] الحاكم: **المستدرك**، كتاب التفسير، باب سورة مريم، (2/ 375)، وقال الحاكم هذا الحديث صحيح الإسناد، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: حديث صحيح، شركة النور، (ط 1/ 2004مـــ)، حديث (1663)، ص 297.

[3] ســـورة مريم: الآية الكريمة (64).

[4] انظر: القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة**، ص 141.

العام للأحكام الشرعية، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[1]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[2]؛ أي "يخفف عنكم في التكليف على العموم فإنه تعالى خفف عن هذه الأمة ما لم يخفف عن غيرها من الأمم الماضية"[3].

لذلك فقد شرع جل وعلا الحنفية السمحة السهلة وجعل الرخص لأن طبيعة الإنسان أنه مخلوق ضعيف لا يصبر على الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات.[4]

وبناءً على القاعدة الشرعية "الضرورة تقدر بقدرها" [5] لذلك من يلقي نظرة على كتب الفقه الإسلامي يجد كثيراً من القواعد الفقهية التي انطلقت من هذه الأسس القرآنية الثابتة والتي ليس عليها خلاف بين القواعد الفقهية: "المشقة تجلب التيسير".[6]

لذلك نلحظ كثيرا من الرخص والتخفيفات في العبادات لأصحاب الأعذار، من مرضى ومسافرين وغيرهم، ومثال ذلك: التيمم لمن فقد الماء، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[7] وكذلك ما يـ سمى بصـ لاة الحـ رب الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ

---

[1] ســورة البقرة: الآية الكريمة (158).

[2] ســورة النساء: الآية الكريمة (28).

[3] الآلوسي: **روح المعاني** (5/ 14).

[4] انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، (بلا ط/ ت)، ص 109، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (تفسير البيضاوي).

[5] الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، (ت: 1357): **شرح القواعد الفقهية**، دار القلم، دمشق، (ط3/ 1993مـ)، ص 187 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الزرقا: شرح القواعد الفقهية).

[6] المرجع السابق، ص 157.

[7] ســورة المائدة: الآية الكريمة (6).

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ... وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1].

والقاعدة "الضرورات تبيح المحظورات" [2] وأصل هذه القاعدة في أربعة مواضع من كتاب الله عز وجل، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].[4]

ومن الصور الطارئة التي اعتبرتها الشريعة الإسلامية وخصتها بأحكام، حالة الإكراه لذلك فقد جعل الفقهاء لموضوع الإكراه باباً خاصاً من أبواب الفقه، سموه التلجئة (الإكراه).[5]

كما أن الشريعة الإسلامية نظرت إلى سلامة المجتمع المسلم نظرة خاصة، فأباحت بسببها كثيراً من المحظورات، بسبب ضرورة تقتضيها الأمة، كما لو تترس الأعداء بأفراد مسلمين جاز للجيش المسلم أن يضرب الأعداء وإن أدى ذلك إلى قتل أفراد مسلمين مع أنهم معصومو الدم ولكن ضرورة الدفاع عن الأمة اقتضت التضحية بهؤلاء الأفراد وأجرهم على الله.[6]

---

(1) ســورة النساء: الآية الكريمة (102).

(2) الزرقا: **شرح القواعد الفقهية** ص 185.

(3) ســورة البقرة: الآية الكريمة (173).

(4) انظر: القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة**، ص 173 177.

(5) انظر: الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود الحنفي، (ت: 683هـ): **الاختيار لتعليل المختار**، دار المعارف، بيروت، (ط3/ 1975م) (2/ 21)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (المصلي: الاختيار).

(6) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت: 505هـ): **المستصفى من علم الأصول** تحقيق: د. محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1/ 1997م)، (1/ 418)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الغزالي: المستصفى).

العامل الثالث: الإجمال في النصوص وعدم التفصيل:

إن معظم النصوص الشرعية جاءت في صورة مبادئ وأحكام عامة، ولم تتعرض لكل الجـ زئيات والتفصـ يلات فـــي حياة الناس ومعاشـ هم إلا فـ يما كان شـ أنه الثبات كالعبادات والمواريث، فقد عالجتها الـ شريعة الإسـ لامية بالتفصـ يل الدقيق، وذلك سداً لباب الابتداع في العبادات وحسماً لأسباب النزاع والخلاف في مجال العلاقات الأسرية.

أما سوى ذلك فقد تركت الشريعة التفصيلات إلى اجتهاد المجتهدين، باختلاف الزمان والمكان والأعراف، لئلا يقع الناس في حرج وعنت إذا ألزم الناس في فرعية قد تصلح لزمان دون آخر أو لمكان دون آخر.

لذلك فقـ د عقد ابن القيم فصـ لاً، تحدث فيـ ه عـ ن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال والنيات، قال فيه: "هذا فصـ ل عظيم النفع جداً، وقع بـــسبب الجهل بغلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح، لا تأتي به".[1]

ومن الأمثلة على ذلك، قضية الشورى في الإسلام، التي جعلها القرآن الكريم، صفة أساسـ ية للمجتمع المسلم لدرجة أنها ذكرت متوسـ طة بين عبادتي الصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

إلا أن القرآن لم يفصل هذه القضية، كالصلاة والزكاة، وإنما ترك ذلك لتطورات الزمان والمكان، فلكل زمان أسلوبه، ولكل مكان ظروفه، فظروف السلم غير ظروف الحرب، والشدة غير الرخاء.[1]

---

[1] ابن القيم: **أعلام الموقعين** (4/ 227).

[2] ســـورة الشورى: الآية الكريمة (38).

المطلب الثاني: معالم الرحمة في العبادات:

أولاً: أثر العبادات على سلوك الأفراد والجماعة:

تحتل العبادات المرتبة الثانية بعد العقائد في الشريعة الإسلامية، فالعبادة هي الحكمة التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]؛ أي: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه دوام الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر تعالى أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع الأحوال، فهو الخالق الرزاق.[3]

لذلك فلا عجب من أن يكون النداء الأول لبعثة الأنبياء والرسل جميعاً الدعوة إلى عبادة الله وحده: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[4] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[5].[6]

وتشكل العبادات في الإسلام ركناً أساسياً من المنهج الرباني الذي جاء ليصلح الإنسان ويقوم سلوكه، ويهذب أخلاقه، ويرشده إلى طريق الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

---

[1] انظر: القرضاوي: **مدخل لدراسة الشريعة**، ص 158.

[2] ســورة الذاريات: الآية الكريمة (56).

[3] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (6/ 425).

[4] ســورة الأعراف: الآية الكريمة (59).

[5] ســورة الأنبياء: الآية الكريمة (92).

[6] انظر: عاشور، د. سعيد: **موســوعة شعائر العبادات في الإسلام**، دار الغريب، القاهرة، (بلا ط/ 2002مــ)، ص 27، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (عاشور: موسوعة العبادات).

يقول الإمام الغزالي: "فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهداً كبيراً في مد شعاعها، وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة، والعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان، ليست طقوساً مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها، فالفرائض التي ألزم الإسلام كل منتسب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء بأن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف"[2].

إذاً: العبادات بأشكالها المختلفة البدنية والمالية، أو كلاهما معا، تلتقي عند غاية واحدة حددها الرسول ﷺ منذ الوهلة الأولى فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[3].

فالعبادات ليست طقوساً جامدة، ولا تمارين رياضية اعتاد المسلم على أدائها في الصباح والمساء وإنما هي دورات تدريبية للمسلم على تزكية أخلاقية و تقويم سلوكه فالعبادات ما هي إلا شجرة راسخة في قلب المؤمن، ثمارها الصدق والأمانة ووفاء العهد وعدم الغش والاحتكار وغيرها من الأخلاق الإسلامية التي يجب أن تكون حصاداً طبيعياً للمسلم من أدائه للعبادات.

لذلك سنتعرف في هذا المبحث على بعض الآثار للعبادات على حياة الفرد والجماعة، وبما أن العبادات لا تنحصر في الصلاة والزكاة والحج والصوم، وإنما قراءة القرآن والأذكار وغيرها لذلك سأقتصر على ضرب أمثلة لبعض العبادات لعدم إمكانية تتبعها جميعاً؛ وهي الصلاة والزكاة والحج.

---

(1) ســورة المائدة: الآية الكريمة (3).

(2) الغزالي: **خلق المسلم** ص 7.

(3) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت 458هــ): **السنن الكبرى**، تحقيق: أحمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ط/ 1994مــ)، (10/ 323)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (البيهقي: السنن)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: حديث صحيح، حديث(92)، ص 28.

1. **أثر الصلاة على الفرد والجماعة:**

الصلاة هي عماد الدين وركنه القويم، وهي من أعظم فروض الإسلام بعد الشهادتين لما تنطوي عليه من حكم وأسرار وقواعد عظيمة، لذلك فهي العبادة الوحيدة التي فرضت على النبي ﷺ في السماء في رحلة الإسراء والمعراج.

فقد جعلها الله عز وجل مفتاح الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1].

كما وجعلها النبي ﷺ حداً فاصلاً بين الإيمان والكفر، لما روي عنه ﷺ أنه قال: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر".[2]

فإذا كانت الصلاة بهذه الأهمية، فإن كل مسلم بحاجة إلى معرفة أسرارها وحكمها، حتى يجتهد في المحافظة عليها، ويتحلى بآدابها، ويحقق أهدافها، فينعم بخير الإسلام في الدنيا والآخرة.

ومن أسرار الصلاة التي لا بد من الوقوف عليها ما يلي:[3]

---

[1] سورة المؤمنون: الآيتان الكريمتان (1 2).

[2] الترمذي: **السنن**، كتاب الأيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث (2830)، (2/ 668)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

[3] انظر: شلتوت، محمود: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص 94.

- وانظر: محمود، د. عبد الحليم: **العبادة أحكام وأسرار**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط2/ 1975مـ) (1/ 217 220)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (د. محمود: العبادة أحكام وأسرار).

1. الصلاة تربي المسلم على الشعور بالعزة والكبرياء بدين الله، والتواضع لخلق الله، مستمداً هذا الشعور من تكبيرة الإحرام التي يدخل بها المسلم رحاب الصلاة، فتكبيرة الإحرام توحي للمسلم أن الله هو مالك الملك وخالق الوجود، وليس مع إرادته إرادة ولا مع كبريائه كبرياء ولا قوة. فتكبيرة الإحرام تغرس في نفس المسلم أنه لا كبير مع الله، وأن الناس مهما علت مراتبهم ودرجاتهم، إلا أنهم متساوون بين يدي الله عز وجل، لا تفاضل بينهم بشيء إلا بقدر ما يتقربون به إلى الله من التقوى وحسن العمل. هذه المعاني إذا استحضرها الإنسان في صلاته، تبعث في نفسه شعوراً جليلاً، أنه إذا كان مهاناً في مجتمعه بسبب فقر أو نسب أو غير ذلك، فهو عزيز بوقوفه بين يدي ملك الملوك، لا يرجو ولا يلجأ ولا يطلب الرحمة إلا منه جل وعلا. إذا أدرك المسلم هذه المعاني في تكبيرة الإحرام، فلا يطأطئ رأسه إلا لله، ولا يخاف ولا يعمل إلا لله بذلك يكون الإنسان قد تحرر من كل عبودية لغير الله، وهذا من أعظم الرحمات التي يرجوها كل مسلم.

2. الصلاة تزكي الإنسان وتهذب أخلاقه وتقوم سلوكه وتطهر قلبه، فتأمره بالبر والخير، وتنهاه عن الشر والمنكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾[1] يعلق سيد قطب على الآية فيقول: "إن الصلاة حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهي اتصال بالله، يخجل صاحبه ويستحيي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها، وهي تطهر وتجرد لا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر"[2].

3. لقد بين جل وعلا أن للصلاة أثرا عميقاً في النفس، بحيث تعالج أموراً جبل الإنسان عليها، فتجتثها وتبدلها بخير منها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾

- وانظر: برج، د. أحمد محمد إسماعيل: **أثر العبادات**، ص 117 123.

[1] ســورة العنكبوت: الآية الكريمة (45).

[2] قطب: **الظلال** (5/ 2738).

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[1]، وفي ختام الحديث عن صفات هؤلاء والتي هي من آثار الصلاة، أعاد بيان السبب مرة أخرى فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[2].

4. إذا كانت الصلاة تعمل على تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك وتزكية الأنفس، فإن التهاون بأمر الصلاة، مدعاة لأن يعيش الفرد والمجتمع في الضلال والانحراف والفساد في الحياة الدنيا، وسوء المصير يوم القيامة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[3].

إن القيم العالية إذا ضاعت من أواسط الناس، فلا يبدو إلا شواذ العادات والصفات، فبدلاً من التسامح يكون الاعتداء والقسوة، وبدلاً من الرحمة تكون الغلظة، وبدلاً من الوحدة والتعاون تكون الفرقة والتناحر، وبالتالي مجتمع هذه صفاته وأخلاقه، فلا ينتظره إلا الانحلال والتشرد والفساد.

استدراك: في سياق هذا الحديث لا بد من سؤال في هذا المضمار، ألا وهو: إذا كان ما ذكر من نقاط هي آثار تترتب على أداء الصلاة، فلماذا نرى أخلاق كثير من المصلين على عكس ذلك، فلا ترى منهم إلا الكذب والخيانة والغش وسوء الخلق، فكيف سينسجم هذا مع تزكية الصلاة للأخلاق وتهذيبها؟

الجواب: إن الصلاة عبارة عن جسد وروح، ومظهر وجوهر، فلا قيمة ولا معنى للجسد حيث لا روح فيه مهما كان أنيقاً وجميلاً، لذلك متى استجمع الإنسان روح الصلاة وجسدها، فأدى

---

[1] ســورة المعارج: الآيات الكريمات (19 23).

[2] ســورة المعارج: الآية الكريمة (34).

[3] ســورة المدثر: الآيتان الكريمتان (42 43).

ركوعها وسجودها واستحضر خشوعها فاز ونال جزيل آثارها، لذلك فإن الله عز وجل جعل الفلاح للخاشعين في الصلاة فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[1].

2. أثر الزكاة على الأفراد والمجتمعات:

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2].

الزكاة في الإسلام قربة لله تعالى، تعتمد على حسن النية والإخلاص بها، ولا يطلب بها إلا وجه الله تعالى، فهي ليست ضريبة مالية تؤخذ غصباً وجبراً عن الأغنياء وتعطى للفقراء وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، يدفعها المسلم لمستحقيها، ليحيي بها نفوسا، ويمسح بها آلاماً، وينال بها الأجر والثواب، ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[3].

وكأن الإسلام عندما فرض الزكاة، أراد أن يلفت انتباه المسلم إلى ضرورة شكر الله على نعمه الكثيرة، كما وأنه أراد أن يذكره بأنه عضو في مجتمع مسلم، صفات هذا المجتمع التعاون والتكافل يعطف الكبير على الصغير والقوي على الضعيف والغني على الفقير.

فالزكاة رابطة بين الإنسان وربه، رابطة رضوان وأجر وثواب ونماء وبركة، وهي رابطة بين الإنسان وأفراد المجتمع رابطة مودة ومحبة وتعاطف وتراحم وتكافل.[4]

كما أن للزكاة كثيراً من الآثار الحميدة على حياة الفرد والجماعة نذكر منها:[1]

---

[1] ســورة المؤمنون: الآيتان الكريمتان (1 2).

[2] ســورة الأعراف: الآية الكريمة (156).

[3] ســورة الليل: الآيات الكريمات (14 21).

[4] انظر: د. محمود: **العبادة أحكام وأسرار**، ص 301 303.

1. الزكاة تطهر نفس المزكي من أنجاس الذنوب والعادات، فهي تعوده على الجود والكرم وحب البذل والعطاء، وتنقي نفسه من الشح والضن بالأموال، الذي جبلت عليه النفوس ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [2].

2. إذا كانت الزكاة تعالج مرض البخل عند الغني، فإنها كذلك تعالج مرض الحسد والضغينة عند الفقير، فعندما يخرج الغني زكاته ويسد بها حاجة الفقير، فإنه بذلك يأسر قلب هذا الفقير، ويقطع عليه كل وساوس الحسد والحقد الذي قد يربو نتيجة الفقر والعوز، فبدل أن يدعو الفقير على الغني بزوال ماله وثروته، يدعو له بالمزيد، لأنه كلما زادت ثروة الغني كلما زاد نصيب الفقير من الزكاة، وهكذا تكون الشريعة بهذه العبادة قد أرست أسس الوحدة الاجتماعية، بالتعاون والتكافل والمحبة.

3. الزكاة تقلل من التفاوت بين الطبقات، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الزكاة تشمل جميع الأموال النامية، فبذلك يكثر حق الفقير، الذي قد يستثمر ما يحصل عليه، وبذلك تتقارب الفوارق بين طبقات المجتمع.

3. آثار الحج:

الحج ليس مجرد رحلة إلى تلك البقاع المقدسة التي تهفو إليها القلوب، بل هو في الأصل رحلة إيمانية مليئة بمعاني الكمال الإيماني والرقي الروحي والسمو الأخلاقي، فشعائر الحج تؤثر في مشاعر الحاج وسلوكه، فترق نفسه وتسمو أحاسيسه وتتحرك دواعي الإيمان في قلبه حتى ترفعه نحو الفضائل.

---

[1] انظر: سري، حسن: **الاقتصاد الإسلامي مبادئ وخصائص وأهداف**، مركز الإسكندرية للكتاب (بلا ط/ 2005مـ) ص 54، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (سري: الاقتصاد الإسلامي).

[2] ســـورة التوبة: الآية الكريمة (103).

إن الحج لم يشرع لمجرد طواف المسلم ببدنه حول البيت الحرام، ولا لمجرد اكتحال العيون برؤية المشاهد المقدسة، وإنما شرع ليكون سبيلاً إلى جمع مسؤولياتهم تجاه أمتهم، برسم طريق السعادة لها حتى تكون هي الأمة الفاضلة التي أعلى الله من شأنها.[1]

إذا: فالحج عبادة جامعة أودع الله فيها فوائد كثيرة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ما أحوج المسلم أن يقف عندها متأملاً في هذه الآثار، حتى تؤثر في سلوكه وأخلاقه ومن أهم آثار فريضة الحج وأسرارها التي نلمس فيها معاني الرحمة ما يلي:

1. الحج طريق العبد لتحقيق رضا الله ومغفرته، بسبب امتثال أوامره واجتناب نواهيه، امتثالاً يعلن فيه الخضوع والخشوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"[2]. فمن عاش في ظل مشاعر الحج عاش في ظل القيم والمثل الفاضلة، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾[3].[4]

2. مناسك الحج ترجمة عملية لمبدأ المساواة الذي قامت عليه الشريعة الإسلامية أكثر من غيرها، يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على هذا الأمر: "وفي الأرض المقدسة حيث تؤدى مناسك الحج والعمرة تتحقق المساواة بصورة أشد ظهوراً، وتتجسد تجسداً تراه العين وتلمسه اليد، فقد يظل الناس في صف الصلاة متمايزين بما يلبسون من أنواع الثياب التي تختلف باختلاف الأقوام أو البلدان أو الطبقات، أما الحج والعمرة، فإن شعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجردوا من ملابسهم العادية ويلبسوا ثياباً بيضاء

---

[1] انظر: شلتوت: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص 150 151.

[2] سبق تخريجه في الفصل الثاني في العبادات، ص 42.

[3] ســورة البقرة: الآية الكريمة (197).

[4] انظر: برج: **أثر العبادات**، ص 250 260.

ساذجة لم يدخلها التكلف والتصنع والتفصيل أشبه ما تكون بأكفان الموت، يستوي فيها القادر والعاجز والملك و السوقة ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد لبيك اللهم لبيك"[(1)].

3. وإذا كان للحج آثار عامة على جميع المسلمين، فلا تنس بعض الآثار والمنافع الخاصة لأهل تلك البقاع، وذلك بحكم الواقع الجغرافي، حيث يسهم الحج في إنعاش الحياة الاقتصادية لتلك البلدان، بسبب كثرة الوافدين، حيث تنتعش الحركة التجارية بسبب ما يتطلبه الحجاج من حاجات ومستلزمات وهدايا وغيرها، مما يساعد على النهضة الاقتصادية لتلك البقاع أكثر من غيرها.

ثانياً: التيسير ورفع الحرج في العبادات:

لقد شرع الله عز وجل العبادات على عباده لتهذيب نفوسهم وتقوية صلاتهم بخالقهم جل وعلا، والإنسان روح وجسد، والروح تجوع كما يجوع البطن، ولذلك فهي دوما بحاجة إلى من يغذيها، والدين فطرة الله التي فطر الإنسان عليها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[(2)].

والعبادة مظهر من مظاهر الدين، والإنسان بطبعه يميل إلى اليسر وعدم التكلف، لذلك فالشريعة الإسلامية لم تهمل هذا الجانب، ولذلك كان التوازن بين فطرة الإنسان وطبعه، وبين أدائه العبادات بشتى أنواعها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(3)].

والأصل في أداء العبادات التوقيف، فلا يعبد الله جل وعلا إلا كما شرع وأمر، دون زيادة أو نقصان، فكيفية العبادة وهيئتها والتقرب بها إلى الله عز وجل لا يكون إلا على الوجه

[(1)] القرضاوي، د. يوسف: **الخصائص العامة للإسلام**، دار المعرفة، الدار البيضاء، (بلا ط/ 1990مــ)، ص 121 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام).

[(2)] ســـورة الروم: الآية الكريمة (30).

[(3)] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (286).

الذي شرع الله، فهي حق خالص لله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [1].

فمن تمام رحمة الله بعباده أنه لم يكل وجوه العبادة وصورها إلى المخلوقين وإلا لأدخل بعض المكلفين على أنف سهم العنت والم شقة، كما فع ل أهل الكتاب: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [2].[3]

إن من أهم خصائص الشريعة الإسلامية أنها جاءت لترفع العنت والمشقة والحرج عن المكلفين، حتى في الأمور التعبدية، لقوله ﷺ "لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء"[4]

وقبل الحديث عن مظاهر اليسر ورفع الحرج في العبادات لا بد من التأكيد على أن القصد العام للتشريع هو حفظ النظام العام واستدامة صلاحه بصلاح المستخلفين في عقيدتهم وعباداتهم وشتى شؤون الحياة وتحقيق العبودية لله بطاعته كما أمر لذلك فرفع الحرج ليس غاية وإنما وسيلة لتحقيق هذا القصد لذلك فلا يجوز لأحد أن يتتبع مواطن الرخص والتخفيفات ورفع الحرج إذا كان ذلك يبعده عن الغاية المطلوبة.[5]

إن التيسير ورفع الحرج من الأصول العامة للشريعة الإسلامية وهذا الأمر واضح في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

---

[1] ســـورة الشورى: الآية الكريمة (21).

[2] ســـورة الحديد: الآية الكريمة (27).

[3] انظر: ابن حميد، صالح بن عبد الله: **رفع الحرج عن الشريعة الإسلامية،** مكتبة العبيكان، الرياض (ط1/ 2004مـــ) ص 123، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ابن حميد: رفع الحرج).

[4] البخاري: **صحيح البخاري،** كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس، (2/ 234).

(5) انظر بن حميد. **رفع الحرج في الشريعة** ص 12.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ ﴾[1].

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[2].

وهذا جزء من آية كريمة جاء تعقيباً بعدما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالركوع والسجود والإتيان بمجمل العبادة وفعل الخير والمجاهدة في الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3].

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4].

وتذييل الآية بـــ "غفور رحيم" تذييل مؤيد لمضمون ما سبق من نفي الحرج فالله غفور لعباده على ما اقترفوه ورحيم بتشريعاته وأحكامه وتيسيره على عباده.[5]

قوله ﷺ: "لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء"[6].

لذلك يقول ابن العربي: "لو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام"[7].

ومن صور تيسير الله على عباده في العبادات ما يلي:

---

[1] ســـورة المائدة: الآية الكريمة (6).

[2] ســـورة الحج: الآية الكريمة (78).

[3] ســـورة الحج: الآية الكريمة (77).

[4] ســـورة التوبة: الآية الكريمة (91).

(5) انظر بن حميد. **رفع الحرج في الشريعة** ص 73.

[6] سبق تخريجه.

[7] ابن العربي، أبو بكر عبد الله (ت: 543هـ): **أحكام القرآن**، دار الجيل، (بلا ط/ 1987مـ) (5/ 1280).

1. إن الشروط التي حددها الإسلام لوجوب العبادات دليل على هذا اليسر في العبادة فالصلاة لا تجب إلا على البالغ العاقل وأما الصبي فلا يحاسب على تركها حتى يبلغ وكذا المجنون حتى يعقل وكذلك عبادة الصيام والحج.

وأما الزكاة فواجبة على الغني في كل عام مرة، ما دام مالكاً للنصاب، وكان ذلك زائداً عن حاجاته الأصلية.

وأما الحج فواجب في العمر مرة واحدة لمن استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة تشمل الجسمية و المالية والأمنية.

2. تشريع الرخص في العبادات، كالتيمم بدل الوضوء لمن فقد الماء أو لمن وجده ولكنه كان لحاجته، أو أن استعمال الماء يلحق به أذى أو ضرراً، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[1]، وكذلك رخصة الجمع بين الصلوات بسبب مطر أو سفر، وكذلك القصر في الصلاة بسبب السفر أو الخوف، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[2] أو الفطر في نهار رمضان للمسافر أو المريض، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[3].

وبناءً على ذلك فقد ذكر العلماء ستة تخفيفات في العبادة على النحو التالي:[4]

1. تخفيف تنقيص كصلاة المسافر من أربع ركعات إلى ركعتين.

---

[1] ســورة المائدة: الآية الكريمة (6).

[2] ســورة النساء: الآية الكريمة (101).

[3] ســورة البقرة: الآيتان الكريمتان (184 185).

(4) انظر، ابن حميد. **رفع الحرج في الشريعة** ص 72.

2. تخفيف إسقاط كسقوط الجمعة عن المرأة والمسافر.

3. تخفيف إبدال كالتيمم بدل الوضوء.

4. تخفيف تقديم كجمع التقديم بين الصلوات للأعذار المشروعة.

5. تخفيف تأخير كجمع التأخير بين الصلوات.

6. تخفيف تغيير كتغيير هيئة الصلاة عند الحرب.

ثالثاً: الاقتصاد وعدم التنطع في العبادة:

إن من خصائص الشريعة الإسلامية أنها سدت أبواب التنطع والتملق في العبادات، فلا يعبد الله إلا كما شرع، فأصل العبادة حق خالص لله تعالى، والأصل في أدائها الإتباع وليس الابتداع وذلك حتى لا يأتي جيل من بعد جيل فتصبح الأمور المبتدعة، من الفرائض والواجبات، ويقع الناس في المشقة والعنت.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] وهذا دليل على عدم وقوع التكليف بما فوق الطاقة في دين الله، لأن الله ما شرع التكليف إلا للعمل واستقامة أحوال الناس، فلا يكلفهم ما لا يطيقون فعله، لأن من ميزات شريعة الإسلام اليسر والرفق، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [2] وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[3]، لهذا كانت المشقة مظنة الرخصة.[4]

---

[1] ســورة البقرة: الآية الكريمة (286).

[2] ســورة الحج: الآية الكريمة (78).

[3] ســورة البقرة: الآية الكريمة (185).

[4] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (2/ 597).

إن النبي ﷺ حث أمته على أن يقتصدوا في الطاعات مخافة أن يقعوا في السآمة والملل، فقال ﷺ: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا"[1].

كما أن النبي ﷺ أقر سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء "إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه" [2].

وقال ﷺ: "هلك المتنطعون" [3].

والمتنطعون هم: المغالون الذين يتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.[4]

ويقول ﷺ: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل". [5]

وذلك لأن المداومة على العبادة والمحافظة عليها دليل على الرغبة فيها، والنفس لا تقبل أثر الطاعة ولا تتشرب فائدتها إلا بعد المداومة عليها والاطمئنان بها.[6]

إن الغلو والتنطع والتشدد في العبادات خروج عن سنة النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأيمان، باب الدين يسر، (1/ 15).

[2] انظر: الترمذي: **السنن**، كتاب الزهد، باب ومنه، حديث (2596) (2/ 616)، وقال الترمذي حديث صحيح.

[3] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم (2670) (4/ 2055).

[4] انظر: النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي** (8/ 122).

[5] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة، (7/ 182).

[6] انظر: الدهلوي، شاه ولي الدين عبد الرحيم: **حجة الله البالغة**، دار المعرفة، بيروت، (بلا ط/ ت)، (2/ 22)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الدهلوي: حجة الله البالغة).

وقال بعضهم لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".[1]

إن كثيراً من المتنطعين المغالين في عباداتهم، يبررون أفعالهم بأنهم يبتغون الأجر والثواب بالتشديد على أنف سهم، حيث أن الأجر على قدر الم شقة، ولعلهم ي ستندون إلى ذلك الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "أعظم الناس أجراً أبعدهم فأبعدهم ممشى" [2].

إن هذا الحديث دليل على المشقة المعتادة، لا أن يقصد الإنسان وقوع المشقة ليترتب عليها الأجر بل إن قصة بني سلمة فيها دلالة على استحباب السكنى قرب المسجد، لأنهم أرادوا ذلك لما علموا ما فيه من الفضل والنبي ﷺ لم ينكر عليهم ذلك وإنما أمرهم بالبقاء في ديارهم للمصلحة، وهي مخافة إن تتكشف المدينة وتتعرى، مع ترتيب الأجر على البعد وكثرة الخطى.[3]

إنه ما من عمل شرعي إلا ويخالطه مشقة وعنت فإذا كانت هذه المشقة معتادة وطبيعية وغير مفتعلة، يكون الأجر والثواب على قدرها، أما أن يتعمد الإنسان حصول المشقة والتعب بدعوى الأجر والثواب، فهذا ليس من الدين في شئ.

وأشار الشاطبي إلى أنه لا يجوز لمكلف أن يقصد إيقاع المشقة في العبادات، لأن الشارع لا يقصد المشقة نفسها، ومن فعل ذلك فقد خالف الشارع، وكل عمل مخالف للشارع باطل.[4]

ويقول العز بن عبد السلام: "لا يصح التقرب بالمشاقّ لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى وليس عين المشاق تعظيماً ولا توقيراً"[1].

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، حديث (5) (2/ 1020).

[2] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر، (1/ 159).

[3] انظر: ابن حجر: فتح الباري، (4/ 116).

[4] انظر: الشاطبي: الموافقات، (2/ 123).

رابعاً: التنوع في العبادات:

إن من مظاهر رحمة الله بعباده، ومن مظاهر جمال الإسلام ويسره على الناس، التنوع في العبادات، مما يعطي للنفس حيوية ونشاطاً ورغبة في أداء العبادات على أحسن وجه، بل ويدفع السآمة والملل والفتور عن الإنسان، فلو كانت العبادات صنفاً واحداً أو شكلاً واحداً، لما كان هذا النشاط والحيوية في أدائها، ولوقع الإنسان في الملل والسآمة والمشقة.

إن الغاية من خلق الإنسان عبادة الله قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

لذلك فالمطلوب من الإنسان أن يجتهد في العبادة، وان يهب وقته وحياته لله رب العالمين: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] حتى يبلغ الإنسان الغاية وهي مرضاة الله عز وجل وتنوع العبادات يسهل الأمر في ذلك فلو كانت العبادات صنفاً واحداً لمل الإنسان.

فلو كانت العبادة كلها صلاة لوقع الإنسان في المشقة والحرج، ولو كانت صيام الدهر كله لضعف جسمه وما استطاع القيام بالعبادة على أكمل وجوهها ولو كانت كلها حج لما حج

---

[1] العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز السلمي: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تعليق: عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط1/ 1968مـ)، (1/ 36)، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام).

[2] سورة الذاريات: الآية الكريمة (56).

[3] سورة الأنعام: الآية الكريمة (162).

كثير من الناس بسبب ما يتطلبه الحج من استطاعة مالية وبدنية وزمنية، بسبب بعد المسافة بين البلدان، ولو أن الإنسان مطالب بأن يتصدق بكل ماله لبخل الأغنياء ولضنّوا بأموالهم على الفقراء، حيث أن الإنسان فطر على حب المال، لقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1] ولانتشرت الكراهية والأحقاد والضغائن بين الفقراء والأغنياء، ولاختل نظام المجتمع وتزعزعت أركانه وبنيانه، فالناظر في العبادات، يرى فيها التنوع الذي يحببها للإنسان ويدفع عنه كل سآمة وملل ومشقة.

فالعبادات متنوعة في أوقاتها وفي مقاديرها وفي هيئاتها ووسائلها، فمنها ما يكون عبادة بالجسم، ومنها ما يكون بالمال، ومنها ما يكون بالجسم والمال معا، ومنها ما يكون باللسان ومنها ما يكون بالليل، ومنها ما يكون بالنهار، ومنها ما يكون كل يوم، كالصلوات، ومنها ما يكون كل أسبوع كالجمعة، ومنها ما يكون في العام كالصيام والزكاة، ومنها ما يكون في العمر مرة كالعمرة والحج.

كما أننا إذا أردنا أن نخضع العبادات إلى الحسابات الزمنية المادية، فإن أداء العبادات على اختلاف أشكالها، لا يحتاج منا سوى القليل من الوقت وبالتالي ستنصرف باقي أوقاتنا إلى الأمور المباحة والعبادات.

وكأني بهذا التنوع للعبادات، وأداء المسلم لها، كرجل في بستان من الأزهار، ينظم باقة منها كلما قطف زهرة أحب غيرها.

إذاً: هذا التنوع في أوقات العبادة وأشكالها مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل بعباده، حتى في الأمور التعبدية التي من أهم خصائصها أنها توقيفية.

المطلب الثالث: معالم الرحمة الإلهية في نظام المعاملات المالية:

[1] ســورة الفجر: الآية الكريمة (20).

كما أسلف الباحث، أن العبادات لا تحتاج من الإنسان سوى القليل من الوقت، وبالتالي فإن الإنسان يقضي معظم عمره ووقته في أمور العبادات والمعاملات والمباحات، لأن ذلك مظهر من مظاهر قيامه بواجب الاستخلاف في الأرض.

وتعدّ المعاملات بين الناس من أكثر الأمور التي تعرض المجتمع للخلافات والنزاعات لذلك حرص الإسلام على وضع جملة من المفاهيم والمبادئ لهذا النظام بين الناس، وذلك حتى يسد الباب على أسباب الفتن والنزاعات التي تهدد أركان واستقرار المجتمع.

وسأقتصر في هذا المطلب بالحديث عن نظام المعاملات المالية في الإسلام، وذلك لشمول وعموم نظام المعاملات لكل جوانب الحياة، مع بيان أثر ومدى الرحمة بالفرد والمجتمع إذا اتبعوا هذه المفاهيم والمبادئ العامة لهذا النظام.

تمهيد:

لقد اهتمت الرسالات السماوية بالمال باعتباره من أهم مقومات الحياة، إلا أن اليهود والنصارى أحدثوا تحريفاً في مفهومه وغايته، فأباح اليهود الربا بين اليهودي وغير اليهودي وحرموه فيما بينهم، كما أفادت الآيات القرآنية ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[(1)]، وأما النصارى فقد فرقوا بين المال والدين فكان شعارهم، دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلم يلتزموا بالقواعد والضوابط الشرعية في المعاملات.[(2)] وأما الإسلام فله نظرة خاصة إلى مفهوم المال، نظرة قائمة على التوسط والاعتدال، فلا يمدحه لدرجة الكنز، ولا يذمه لدرجة الزهد فيه وتركه، كما أن الإسلام اعتبر المال وسيلة تمكن الإنسان وتعينه على طاعة

---

(1) ســورة النساء: الآية الكريمة (161).

(2) انظر: عفيفي، د. أحمد مصطفى: **استثمار المال في الإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط1/ 2001مــ) ص 16 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (العفيفي: استثمار المال).

الله، وليس غاية بحد ذاته قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

يقول ابن تيمية: "إن الأصل أن الله تعالى إنما خلق الأموال إعانة على عبادته، لأنه إنما خلق الخلق لعبادته"[2].

فالمال مال الله جل وعلا وهو المالك المتصرف بكل شيء ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾[3]، وأما الإنسان، فهو خليفة الله في أرضه، ومؤتمن على هذا المال لقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[4].

وكما جاء في الحديث عن النبي ﷺ الذي يبين فيه أن الإنسان مؤتمن على هذا المال "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه"[5].

وتحدث الزمخشري عن معنى الاستخلاف في الأموال فقال: "أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما انتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا

---

[1] ســورة القصص: الآية الكريمة (77).

[2] ابن تيمية: **السياسة الشرعية**، ص 40.

[3] ســورة المائدة: الآية الكريمة (120).

[4] ســورة الحديد: الآية الكريمة (7).

[5] الترمذي: **الســنن**، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شــأن الحــساب، حديث (2601) (2/ 618) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

منها في حق وق الله، وليهـــن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه"[1].

لقد اهتم الإسلام بموضوع المال اهتماماً لا يقل عن العبادات والعقوبات وغيرها من أركان الشريعة، وذلك لما للمال من أهمية في استقرار حياة الأفراد والمجتمعات، بل إنه اعتبر استثمار المال ضرورة حتمية لابد منها، وهذا الأمر واضح في جملة من الآيات القرآنية، ومن هذه الآيات: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

ووجه الدلالة في هذه الآية واضح في وجوب الاستثمار وعدم الركود، بدليل أنه أمر بعدم الاذ شغال بالبيع وقت الصد لاة، وأمر ر به بعد د انقضد ائها، وهذا الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب.[3]

وفي مقابل هذا الأمر بالاستثمار كان التحذير والترهيب والوعيد من كنز المال واحتكاره وعدم التداول به ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ... هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[4].

وجه الدلالة في هذه الآية على وجوب الاستثمار، يستفاد من مفهوم المخالفة، وهو النهي عن الاكتناز، فاكتناز الأموال يعد من أكبر المعوقات أمام التنمية الاقتصادية للمجتمعات، مما يؤدي إلى زيادة نسبة البطالة في المجتمع لأن حجب المال عن التنمية والاستثمار حجب للأفراد

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، مج 4 (6/ 61).

[2] ســـورة الجمعة: الآيتان الكريمتان (9   10).

[3] انظر: سانو، د. قطب مصطفى: **الاستثمار أحكامه وضوابطه**، دار النفائس الأردن، (ط1/ 2000مـــ)، ص 39   40 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (سانو: الاستثمار).

[4] ســـورة التوبة: الآيتان الكريمتان (34   35).

عن العمل فبقدر ما يدفع المال في مجالات النشاط الاقتصادي والاستثمار بقدر ما تنمو النهضة الاقتصـ ادية التي تحق ق الرفاه والاسـ تقرار لأفـ راد المجتم ع وتقضي على البطالة وكاف ة أسـ باب الفقر الذي أكثر ما ي ؤرق الأفـ راد والمجتمعات لما له مـ ن خطـ ر على عقيـ دتهم وأخلاقهم وسلوكهم.[1]

إن من أهم الأمور التي شرعها الإسلام لتشجيع الناس على الاستثمار، فرضية الزكاة وذلك أن الزكاة تدفع الإنسان إلى تنمية ماله واستثماره حتى لا تأتي عليها بمرور السنين والأعوام، كما أن مستحقي الزكاة ينفقون ما يأخذونه في سد حاجاتهم الأساسية، وذلك نوع من أنواع التنمية الاقتصادية وزيادة الاستهلاك والإنتاج.[2]

ضوابط المعاملات المالية في الإسلام:

لقد حرص الإسلام بأحكامه وتشريعاته على وضع جملة من المبادئ والقواعد، التي من شأنها أن تسهم في بناء مجتمع فاضل متحد الصفوف كالبنيان الواحد وكالجسم الواحد.

وبما أن المعاملات المالية من أكثر أسباب الخلاف والنزاع بين الناس، حرص الإسلام على وضع جملة من الضوابط الخاصة بها، حتى يسد أبواب الفتنة والخلاف بين الناس، ويقطع

---

[1] انظر، أبا حمد، د. رضا صاحب: **الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي**، دار مجدلاوي، عمان، (ط1/ 2006مـ) ص 168 173، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (أبو حمد: الخطوط الكبرى).

- وانظر سانو: **الاستثمار**، ص 65 69.

[2] انظر، سري: **الاقتصاد الإسلامي**، ص 52.

بذلك دابر التخاصم والفرقة لذلك سأتعرض في هذا المطلب بعض هذه الضوابط، ذاكراً أثرها على الفرد والجماعة، التي تظهر لنا رحمة الله بعباده، ومن هذه الضوابط ما يلي:

1. تحريم أكل الربا.
2. الصدق والأمانة وعدم الغش.
3. توثيق الحقوق وحفظها.
4. الاعتدال في الإنفاق.

أولاً: تحريم أكل الربا:

عدّ القرآن الكريم موضوع الربا من أخطر المعاملات المالية المدمرة للمجتمعات، من الناحية الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، لذلك فقد أعلن الحرب على هذه الظاهرة بطريقة لافتة للنظر، لم يعهد لها مثيل في القرآن الكريم، وهذا الأمر واضح من سياق الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ... فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[1].

ولعل أحد أنواع التخبط الذي أشارت إليه الآيات، هو ما نشهده اليوم من أزمات وانتكاسات واضطرابات اقتصادية، تطارد وتؤرق الشعوب بين فترة وأخرى، ولعل من حكم

(1) ســورة البقرة: الآيات الكريمات (275 279).

تحريم الربا ما فيه من الاستغلال والإرهاق الاقتصادي للمحتاجين، والقضاء على عوامل الرفق والرحمة ونزع فضيلة التعاون والتناصر وإلحاق الضرر بالأفراد والمجتمعات.[1]

وعدّ القرآن الكريم المرابين محاربين لله ورسوله، لذلك توعدهم بعقوبات في الدنيا والآخرة، تتمثل في محق الأموال وبركتها، وفي ضنك العيش، المتمثل في عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي والأسري والاقتصادي إضافة إلى سوء المصير يوم القيامة.

لقد جاء الإسلام وقلوب كثير من الناس خالية من معاني الرحمة فالقوي يأكل الضعيف والغني يستغل الفقير، فتكدست الأموال بين يدي طائفة قليلة من المتنفذين، فنشأت الرأسمالية الطاغية، فمزقت الإنسانية، وجعلت أفرادها أشبه بحيوانات الغابة، الغني يطمع بالفقير، والفقير يحقد على الغني ولكل منهما سلاحه الذي يقتل به أخاه، في ظل هذه الأجواء جاء الإسلام بنظمه ومبادئه الاقتصادية، ليرد البشر إلى الحياة التي أرادها لهم الله جل وعلا، فدعا إلى التراحم والتعاون والبر والإحسان، ثم أخذ ببناء المجتمع الفاضل المتماسك، فحرم الربا والرشوة والاحتكار والبخل والشح.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن آيات الربا من أواخر ما نزل من القرآن الكريم،[3] هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن القرآن الكريم بعدما قام ببناء المجتمع الفاضل المتعاون، بالعبادات والعقوبات والمعاملات الصحيحة، أراد أن يبين أن أخطر ما يهدم هذا البناء النظام الربوي لما له من أخطار وخيمة على الأفراد والمجتمعات.

---

[1] انظر: ملحم، د. أحمد سالم: **المعاملات الربوية في ضوء القرآن والسنة**، دار النفائس، الأردن، (ط1/ 2002م) ص 20، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (ملحم: المعاملات الربوية).

[2] انظر: شلتوت: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص 293.

[3] انظر: البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب موكل الربا، (3/ 12).

ومن أبرز الآثار والأخطار التي تهدد الفرد والمجتمع نتيجة النظام الربوي ما يلي:[1]

1. حصر الثروة في طبقة معينة تتحكم في اقتصاد البلاد والعباد، وهذا خلاف لمبدأ توزيع الثروة وتداولها كما قال جل وعلا: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[2].

2. القضاء على عناصر الأخوة والمحبة والترابط بين المسلمين، وتشجيع الحقد والضغينة والكراهية بين طبقات المجتمع، وذلك بما فيه من استغلال الأغنياء لحاجة الفقراء.

3. تعميق الشعور بحب المادة، والارتباط بالدنيا إلى درجة عبادة الأموال، بحيث يصبح المرابي ينظر إلى الحياة بمنظار المادة من ربح أو خسارة.

4. إن احتكار الأموال في طائفة معينة، مدعاة إلى الركود الاقتصادي وعدم الاستثمار، وزيادة البطالة ونسبة الفقر بين الناس.

ثانياً: الصدق والأمانة وعدم الغش:

إذا كان الإسلام قد شرع طرقاً عديدة لاستثمار المال وتنميته، من بيع وشراء وشراكة ومضاربة وغيرها، فإنه أكد على أنه لا قيمة لكل هذه المعاملات إذا لم يلتزم فيها بالصدق والأمانة، والابتعاد عن الغش والخيانة والخديعة، فالصدق والأمانة، هما رأس مال التاجر قبل المال، وهما الأساس اللذان يتوقف عليهما نجاح التجارة أو كسادها، فمن يأتمنه الناس، تجد سلعته أكثر رواجاً وانتعاشاً وربحاً ويكون أكثر قبولاً عند الله وعند الناس.

---

[1] انظر: حسنين، مصطفى: **أضواء على المعاملات المالية في الإسلام**، مؤسسة الوراق، الأردن، (بلا ط/ 1999مـ) ص 46، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (حسنين: المعاملات المالية).

[2] ســورة الحشر: الآية الكريمة (7).

بل إن الله عز وجل في بعض الآيات القرآنية، قدم الأمانة على إقامة العدل في دلالة على أهميتها في المعاملات، فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [1].

يقول الشيخ صاحب المنار عند هذه الآية: لقد قدم الأمر بأداء الأمانة على الأمر بالعدل، لأن العدل في الأحكام يحتاج إليه عند الخيانة في الأمانات التي تتعلق بحقوق الناس، فالأصل أن الناس أمناء بوازع الفطرة والدين، وأما الخيانة فخلاف الأصل، ولا تكون إلا شذوذاً عند الأمة المتدينة، فما حاجة الناس إلى التحاكم والتخاصم عند الإمام العادل، إذا راعى كل واحد منهم أمانته وأداها إلى صاحبها. [2]

أنه إذا غابت الأمانة عن المعاملات كان الغش والخيانة والخديعة لذلك فقد أعلن النبي صلى الله فيه وسلم براءته من أمثال هؤلاء فقال ﷺ: "من غش فليس منا" [3].

لقد وضع النبي ﷺ هذه القاعدة في رجل حاول أن يغش في كومة من الطعام، لأن من يهون عليه ذلك تكون نفسه ميالة إلى انتقاص الحقوق، مما يؤدي إلى زعزعة الثقة وقطع الصلات وإثارة الأحقاد، فينتشر الفساد. [4]

ثالثاً: توثيق الحقوق والمحافظة عليها:

---

[1] ســورة النساء: الآية الكريمة (58).

[2] انظر: رضا: **المنار** (5/ 176).

[3] الترمذي: **الســنن**، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغــش، حديث (1361)، (1/ 355)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[4] انظر: شلتوت: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص 288.

إنه مما لا شك فيه أن كثيراً من منازعات الناس واختلافهم يعود في الأصل إلى بعض المعاملات المالية والحقوق المتبادلة التي بينهم، هذا يأكل حقوق هذا، وهذا يظلم هذا، وذاك يتهم هذا، من أجل ذلك حرص الإسلام على قطع دابر الفتنة والخلاف والنزاع بين الناس، لذلك فقد وضع الإسلام للحقوق بين الناس سياقاً من القواعد والمبادئ، وذلك حتى لا يتجرأ أحد على اقتحام هذا الحمى ويتلاعب في أموال الناس وفي استقرار حياتهم.

لذلك نجد أن أطول آية في كتاب الله عز وجل هي آية الدين حيث فصلت تفصيلاً كاملاً كيفية التعامل مع الحقوق والدين، فقررت مبدأ الكتابة والتوثيق للديون، ثم حددت الكاتب الذي يوثق هذه الحقوق بأنه عدل لا ينتمي إلى أحد الطرفين كما أنها أعطت المدين الحق في صيغة العقد والإقرار بما عليه من حقوق، وذلك حتى لا يكون في موقف ضعف ولا يستطيع الدفاع والاعتراض إذا أملى الدائن على غير الحقيقة.

ثم بين أنه إذا كان المدين عاجزاً عن الإملاء لضعف عقلي أو غيره فعلى ولي أمره أن يتولى ذلك، حتى لا يقع الغبن والخلاف مع الدائن، ثم أمر الإسلام بوجوب الإشهاد بأكثر من واحد، حتى إذا نسي أحدهم أو ضل، ذكره الآخر بتفاصيل العقد. هذه جملة من القواعد التي وضعها الإسلام في توثيق الحقوق بين الناس والتي تعجز أمامها كل قوانين الأرض مهما ارتفعت وتقدمت.[1]

إضافة إلى ذلك، فلقد أوجب الإسلام في موضوع البيع جملة من الحقوق للمشتري وذلك حتى لا يقع ضحية لغبن أو طمع البائع فأوجب الإسلام للمشتري خيار الشرط والرؤية والتعيين وغير ذلك من الشروط والتي تعطي المشتري حق فسخ العقد إذا تبين أن البائع قد غبنه أو خدعه في البيع.

رابعاً: الاعتدال في الإنفاق:

---

[1] انظر: قطب: **الظلال** (1/ 335).

إذا كان المال مال الله، والناس جميعاً عباداً لله، كان من الضروري أن يكون المال لهم جميعاً وإن تعلق بشخص معين فقد أضاف الله الأموال إلى الجماعة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[1].

وتحقيقاً لانتفاع الجميع بهذا المال، حارب الإسلام الترف والإسراف والتبذير، بل أن القرآن الكريم شبه المبذرين بالشياطين الذين يعملون على إغواء الناس وإضلالهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[2].

فكما إن الشياطين يفسدون على الناس عقيدتهم، فالمبذرون يفسدون للناس نظام معيشتهم بالإسراف، ويكفرون بنعمة المال التي ينبغي أن يصونوها ويحافظوا عليها.

فالإسراف والترف منبع شر يملأ القلوب حقداً وضغينة، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار بل إنه قد يصل بأصحابه إلى جحود الحق وإنكار الشرائع وصفحات التاريخ شاهدة على هذا الأمر فما وقف في وجه الدعوات إلا المترفون قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[3].

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[4].

وبما أن الإسلام حارب الإسراف والتبذير لما له من آثار خطيرة على الأفراد والمجتمعات، فإن الشح والبخل لا يقل عنه خطراً، لذلك جاءت كثير من الآيات التي تحارب الشح والبخل، وتدعو

---

[1] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (188).

[2] ســـورة الإسراء: الآية الكريمة (27).

[3] ســـورة سبأ: الآية الكريمة (34).

[4] ســـورة الأنعام: الآية الكريمة (123).

إلى الإحسان والبذل والعطاء، وبينت أن مصير الشح، القلة والذلة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [1].

وأن عاقبة البذل والعطاء الفلاح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2].

إن الإنسان مؤتمن على هذا المال، فهو خليفة الله في أرضه، لذلك لا يجوز له أن يتصرف به كيف شاء، تماما كالمسؤول المالي في أي مؤسسة، لا يجوز أن يبذر أموالها على الموظفين ولا يحق له أن يظلم أحداً منهم حقه.[3]

المطلب الرابع: معالم الرحمة في نظام العقوبات في الإسلام:

إن قضيه العقوبات في الشريعة الإسلامية على اختلاف صورها ومقاديرها من أكثر الأمور التي حاول المستشرقون أو بعبارة أخرى الحاقدون على الإسلام، أن يوجهوا من خلالها سهام غيظهم وحقدهم على الإسلام وذلك بدعوى المحافظة على حقوق الإنسان.

وإذا كان في هذا المقام من كلمة فليس أقل من أن يقال، أن حقوق الإنسان ما ضاعت وما امتهنت كرامة الإنسان إلا بعد نشوء مثل هذه الجمعيات التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان.

إن الله عز وجل قد كرم هذا الإنسان منذ الأزل ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾[1].

---

[1] ســورة الليل: الآيات الكريمات (8 11).

[2] ســورة التغابن: الآية الكريمة (16).

[3] انظر: شلتوت: **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص 277 281.

- انظر: أبو أحمد: **الاقتصاد الإسلامي**، ص 99 202.

إن الإسلام عندما شرع العقوبات شرعها من أجل مصلحة الجاني الفرد، ومن أجل أن يحفظ كرامة وسلامة المجموع، وإن كان في ذلك بعض الأذى، لذلك آثرت أن أبين في هذا المبحث آثار الرحمة الإلهية في شرعية العقوبات دون أن أدخل في متاهة الخلافات الفقهية في بعض الأمور، وإنما سيكون الحديث عن بعض المسلمات والقواعد العامة التي عرضها القرآن في هذا المجال، والتي يبين من خلالها أثر هذه العقوبات على سلامة الأفراد والجماعة وسيكون الحديث عن الأمور التالية:

1. العقوبات رحمة بحد ذاتها.
2. الرحمة في المساواة بين الجريمة والعقوبة.
3. الرحمة في شخصية العقوبات في الإسلام.
4. أهداف العقوبة في الإسلام.

أولاً: العقوبة رحمة بحد ذاتها:

إذا كانت العقوبات بكل صورها أذى لمن تنزل به فهي في آثارها رحمة بالمجتمع وليست الرحمة في هذا المقام الشفقة والرقة التي تنبعث من النفس الإنسانية نحو المستضعفين والأطفال والأقربين وإنما الرحمة العامة بالناس أجمعين، الرحمة التي لا تفرق بين وضيع وشريف ولا رئيس ولا مرؤوس ولا عرق ولا لون، إنها الرحمة القائمة على العدل في شريعة السماء، هذه الرحمة التي بعث بها ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

---

[1] ســورة الإسراء: الآية الكريمة (70).

[2] ســورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

فالعقوبات، وإن كان ظاهرها الألم والأذى والقسوة على الجاني، إلا أن حقيقتها الرحمة بالجاني والناس من حوله، كما سنبين ذلك في أهداف العقوبة في الإسلام، لذلك نرى أن أشد العقوبات أثراً على الجاني وهـ و القصاص، فقـ د جعله الله حياة للأفـ راد، فقال جـ ل وعـ لا ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

قال الإمام الطبري: "ولكم يا أولي العقول فيما فرضت عليكم وأوجبت لبعضكم على بعض من القصاص في النفوس والجراح والشجاج ما منع به بعضكم من قتل بعض وقدع بعضكم عن بعض فحييتم بذلك فكان لكم في حكمي بينكم بذلك حياة"[2].

وفي تفسير القاسمي: "لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يُقتص منه فارتدع، سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود القصاص فكان القصاص سبباً لحياة نفسين"[3].

فليس من الرحمة الرفق بالأشرار المعتدين، الذين يتربصون بالناس الدوائر، ويرهبونهم في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، بل إن الرفق بأمثال هؤلاء هو عين القسوة والظلم الذي نهى عنه القرآن، وإن بـ دا في ظاهره الرحمـ ة والـ شفقة، قال تـ عالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

---

[1] ســورة البقرة: الآية الكريمة (197).

[2] الطبري: **جامع البيان**، مج2 (2/ 67).

[3] القاسمي: **محاسن التأويل**، مج2 (3/ 62).

[4] ســورة النور: الآية الكريمة (2).

بل إن الآية تبين أن الرأفة في هذا المقام تتناقض مع الإيمان، لأن إقرار الجاني على ظلمه، ليس رحمة له، وإنما ظلم له وللمجتمع من حوله، فعدم إنزال العقوبة بالجاني تشجيع له على الجريمة وتعريض للمجتمع للأذى، لذلك وفي معرض حديث القرآن عن القصاص اعتبر إقامة الحدود على الجناة كمن يحيي نفسا ميتة وذلك تعبيراً عن أن حياة الآخرين وسلامتهم لا تستقر إلا إذا أُخذ على يد الجناة بالعقوبة، فقال جل وعلا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

ومثال ذلك: كالطبيب يقطع طرفاً مريضاً للإنسان في سبيل المحافظة على حياته.[2]

إذاً فالعقوبة رحمة من الله تعالى لعباده وفيها إرادة الخير لهم، والحفاظ على مصالحهم ودرء المفاسد عنهم، وقد أشار ابن تيمية إلى أن إقامة الحدود شرعت رحمة من الله بعباده فهي صادرة عن رحمة الخالق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد ذلك الإحسان إليهم كما الوالد يقصد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجه المريض[3].

فتشريع العقوبات الدنيوية على مرتكبي الجرائم هو من مظاهر رحمة الله بعباده، لما في هذه العقوبات من قابلية الزجر عن ارتكاب الجريمة، وبهذا الزجر يرتدع الإنسان عن ارتكاب الجريمة، فيتخلص من الوقوع في الإثم والخطيئة، كما أن في ذلك مصلحة للمجتمع لما يترتب عليه من اطمئنان للناس على حياتهم وأموالهم وإعراضهم، بإخافة من تحدثه نفسه بارتكاب

---

[1] ســـورة المائدة: الآية الكريمة (32).

(2) انظر، ابن حميد: **رفع الحرج في الشريعة** ص 123.

- انظر: أبو زهرة، محمد: **الجريمة والعقاب في الفقه الإسلامي**، دار الفكر، بيروت، (بلا ط/ ت)، ص 11 15 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (أبو زهرة: الجريمة والعقوبة).

[3] ابن تيمية: **السياسة الشرعية**، ص 97.

الجريمة، لئلا يحل فيه ما حل بمن عوقب، وهذه المصلحة العامة يهدف معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ارتكاب الجريمة.[1]

ثانياً: المساواة بين الجريمة والعقوبة:

قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾[2].

إن من أهم الأصول التي قامت عليها الشريعة الإسلامية والذي يمثل مظهراً من مظاهر الرحمة والعدل الإلهي بعباده، المساواة بين الجريمة والعقوبة لقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[3] ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾[4].

وليس المقصود بالمساواة في هذا المقام المساواة المادية المحسوسة والخاضعة للأحجام والأوزان والمقادير، وإنما المساواة التي تراعي حجم الضرر الذي أحدثته الجناية، وذلك لأن العقوبة في الإسلام ليست أصلاً، وإنما استثناءً شرعت من أجل إصلاح الأفراد ودرء المفاسد عن المجتمع وحفظ مصالح الناس، وبهذا فالعقوبة لا تخضع لعواطف وأمزجة وغيظ قلوب أولياء المجني عليه وإنما لمدى الضرر الذي أحدثته على المجني عليه.

كما أن هذه المساواة تمتد لتشمل المساواة بين الأفراد جميعاً، فلا فرق بين جناية الحاكم أو المحكوم أو الوضيع أو الشريف أو الغني أو الفقير وإنما الكل سواسية كأسنان المشط أمام

---

[1] انظر: زيدان، عبد الكريم: **القصاص والديات في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1/ 1998مـ) ص 13، بتصرف، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (زيدان: القصاص والديات).

[2] سورة النحل: الآية الكريمة (126).

[3] سورة الشورى: الآية الكريمة (40).

[4] سورة النحل: الآية الكريمة (126).

الأحكام الإلهية، وهذا الأمر ثابت في عموم النص القرآني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾[1].[2]

وهذا الأمر أكده النبي ﷺ في شأن المرأة المخزومية، حين حاول أسامه بن زيد أن يشفع لها، فقال ﷺ: "إنما اهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[3].

ثالثاً: شخصية العقوبة:

المقصود بشخصية العقوبة، أن العقوبة لا تصيب إلا من ارتكب الجريمة، لقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾[4] وقوله: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾[5].

وهذا من تمام رحمة الله عز وجل بالأمم والمجتمعات، فمن عظيم الظلم والطغيان أن يؤخذ البرئ والشريف بجناية المجرم أو السفيه، لا لشئ إلا لمجرد صلة قرابة أو نسب أو غيرها مع الجاني.

فشخصية العقوبة في الإسلام، سدت باباً واسعاً من أبواب الفتن كانت تراق على مدخله كثير من الدماء البريئة، عبر ما يسمى الثأر، بحيث يعمد أولياء المجني عليه إلى القصاص من ذوي الجاني أو أقربائه دون تفريق بين صغير، كبير أو شريف أو وضيع، ولربما أزهقت كثير

---

[1] سورة البقرة: الآية الكريمة (178).

[2] انظر: أبو زهرة: **الجريمة والعقوبة**، ص 350.

- انظر: زيدان: **القصاص والديات**، ص 14.

[3] سبق تخريجه، انظر: الفصل الثالث (إقامة العدل، ص 79).

[4] سورة الأنعام: الآية الكريمة (164).

[5] سورة فصلت: الآية الكريمة (46).

من النفوس البريئة، وبقي الجاني حراً طليقاً دون أذى، ولذلك جاء الإسلام وحارب هذه العادة وأكد بأنه لا يجوز أن يؤخذ أحد بجريمة غيره.

وهذا الأمر لا يتناقض مع وجوب الدية على العاقلة في القتل الخطأ، علما أن العاقلة لم تشارك في الجريمة، وذلك لأن وجوبها على العاقلة يكون على سبيل المواساة وليس للعقاب وإذا كانت على سبيل العقاب فحثاً لهم على عدم رعاية القاتل أو لتقصيرهم في ردعه وتأديبه قبل الجريمة.[1]

رابعاً: أهداف العقوبة في الإسلام:

لا يمكن الحديث عن أهداف تشريع العقوبة في الإسلام بمعزل عن أهداف الرسالة الإسلامية، حيث إن الإسلام جاء لينشئ مجتمعاً فاضلاً، خالياً من الجريمة والإرهاب بشتى أنواعه النفسي والمالي والاجتماعي فالإسلام جاء ليحافظ على خمسة أمور، عليها مدار الدنيا والدين وهي: (النفس والدين والمال والعقل، والنسل).

لذلك فالعقوبات في الإسلام أداة من أدوات المحافظة على هذه الأمور حيث إن الجرائم والمخالفات تعدّ انحرافاً وشذوذاً عن أهداف هذه الرسالة ومقاصدها.

فالعقوبة في الإسلام ليست مقصودة بذاتها، وليس الهدف منها إنزال الأذى والألم بالجاني، بدافع الثأر أو الانتقام، وإنما للحيلولة دون وقوع الإنسان في مثل هذه المخالفات مرة أخرى وللمحافظة على القيم والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية والدينية وغيرها.

من أجل هذا لابد من بيان بعض أهداف الإسلام في شرعية العقوبات، على النحو التالي:

---

[1] انظر: زيدان: **القصاص والديات**، ص 18.

- وانظر: فاروق: حسني إيهاب: **مقاصد العقوبة في الإسلام**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، (ط1/ 2006م) ص 50، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (فاروق: مقاصد العقوبة).

أولاً: تحقيق العدالة:

إن تحقيق العدالة بين الناس من شأنه أن ينشئ مجتمعاً مترابط الأوصال، متعاوناً متحاباً يعط ف بعضه على بعض، يعطف كبيرهم على صغيرهم، ويحترم صغيرهم كبيرهم كما قال ﷺ : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1].

فبالتزام المجتمع هذه الأخلاق ينعم بالفضيلة ويحارب الرذيلة حتى تنكمش وتتلاشى بين أفراده.[2]

والعدالة في العقوبات تتمثل في عدة وجوه:

بالنسبة لعقوبات الحدود والقصاص، فإن الله عز وجل هو الذي جرّم تلك الأفعال، التي شرع لها من العقوبات ما لا يجوز لأحد مهما علا شأنه أن يغير فيها بزيادة أو نقصان، فإذا توافرت جميع الشروط التي تعدُّ الفعل جريمة وجب تنفيذ العقوبة على الجاني أياً كان، ولئن أفلت إنسان من عدالة الدنيا فلن تنساه عدالة الآخرة لقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا**﴾[3].

فتذكير الإنسان بهذا المصير في الآخرة، يعدُّ زاجراً ورادعاً له عن الوقوع في المخالفات والأفعال التي تجرمها الشريعة، فتشريع العقاب وتحديد العقوبة والمساواة في تنفيذ العقوبة نوع من أنواع العدالة.

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، (1/ 9).

[2] انظر: دراغمة، محمد عبد المنعم عطية: **أثر الظروف في تخفيف العقوبة**، رسالة ماجستير، جامعه النجاح الوطنية، نابلس، (بلا ط/ 2005مـــ)، ص 43، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (دراغمة: أثر الظروف في تخفيف العقوبة).

[3] ســـورة آل عمران: الآية الكريمة (30).

ومن صور العدالة في العقوبات الشرعية، أن العقوبات تتناسب تناسباً تاماً مع الجريمة وهذا التناسب لا يخضع للكم والوزن وإنما للضرر الحاصل للمجني عليه وهذا ما يفسر تفاوت مراتب العقوبات وترتيب كل عقوبة إلى ما يناسبها من الجريمة جنسا وقدرا، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [1].

ثانياً: حماية مصالح الناس: [2]

مما لا شك فيه، أن أحكام الشريعة معللة بجلب المصالح ودرء المفاسد، يقول الإمام الشاطبي: "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا" [3].

وهذه المصالح لا تتغير مع الزمان والمكان، لذلك فالعقوبة لا تحمي المصالح الشخصية فحسب، وإنما جميع المصالح المعتبرة، الداخلة تحت الضرورات الخمس التي حافظت عليها الشريعة.

فمثلا:

عقوبة الردة: إنما شرعت لحماية الدين، لذلك كانت عقوبة المرتد القتل، لما في ذلك من تشكيك الناس بدينهم وعقيدتهم.

وعقوبة الزنا: إنما وضعت للمحافظة على النوع البشري، بتحريم العلاقات المحرمة، وشرعية الزواج والرغبة في التناسل والتكاثر، إضافة إلى المحافظة على كيان الأسرة ومنع اختلاط الأنساب حتى تؤدي دورها الريادي في بناء المجتمع الفاضل فكان لابد من عقوبة رادعة لمن يحاول أن يهدم أسس المجتمع ويحرم أبناءه من أداء دورهم في مجتمعهم.

---

[1] سورة النحل: الآية الكريمة (126).

[2] انظر: دراغمة: **أثر الظروف في تخفيف العقوبة**، ص 14.

[3] الشاطبي: **الموافقات** (2/ 6).

وأما عقوبة شرب الخمر: فكانت لحماية العقل الذي هو مناط التكليف، فإذا غاب العقل أصبح صاحبه عالة على المجتمع ومن حوله.

وأما عقوبة القذف: إنما جعلت للمحافظة على هيبة الأسرة وسلامتها.

وعقوبة الـ سرقة: لحماي ة أموال الناس وأملاكهم ، لأن الاعتداء عليها يؤدي إلى اخت ـلال نظام المجتمعات.

وأما عقوبة القصاص فكانت من أجل المحافظة على النفس الإنسانية من الهلاك.[1]

من خلال العقوبات المشروعة ما بين حدود وقصاص، تبين أنها ما جاءت وما شرعت إلا من أجل المحافظة على مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم.

ثالثاً: إصلاح الفرد وتهذيبه:

العقوبات في الشريعة الإسلامية ليست مقصودة لذاتها، فليس من أهدافها تعذيب المخطئ والانتقام ممن يخالف أمر الشارع الحكيم، وإنما إصلاح الشاذ وتهذيبه وهدايته إلى سواء الصراط فمن الناس من يرتدع بمجرد الوعظ والتذكير ومنهم من لا يردعه إلا سيف العقوبة.

فالإسلام لم يأت من أجل إقامة الحدود على الناس، ولا من أجل تهميش أفراد المجتمع وإنما جاء بالعدل والمساواة ونشر المحبة بين الناس، لذلك فهو ينظر إلى الجاني وكأنه فرد عادي في المجتمع، إلا انه أوجد له العلاج المناسب، والعقوبة حسب الجناية ليخرجه من دوائر الـ شر إلى رحاب الخير ر، فالعقوب ة جزء مكمل مـ ن المنهـ ج الإسـ لامي المتكامل لتربية النفوس وتهذيبها.[2]

---

[1] انظر: أبو زهرة: **الجريمة والعقوبة**، ص 35 36.

[2] انظر: دراغمة: **أثر الظروف في تخفيف العقوبة**، ص 42.

إن الشريعة الإسلامية لم تجعل القصاص حتماً لازماً لا مفر منه وإنما شرعت الدية في القتل الخطأ، أو عند عفو ذوي المجني عليه، ورغبت الشريعة بالعفو، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [1].

لذلك فإن لابن تيمية في هذا المجال كلاماً، يبين فيه أن الهدف والحكمة من مشروعية العقوبة، تأديب الجاني وإصلاحه فيقول: "فإن إقامة الحد من العبادات، كالجهاد في سبيل الله فينبغي أن يعرف أن إقامة الحدود رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديداً في إقامة الحد لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصده رحمة الخلق، بكف الناس عن المنكرات، لا شفاء لغيظه وإرادة العلو على الخلق، بمنزلة الوالد إذا أدب ولده، فإنه لو كف عن تأديب ولده كما تشير به أمه رقة ورأفة لفسد الولد وإنما يؤدبه رحمة به وصلاحاً لحاله" [2].

ومن الأدلة العملية على أن الشريعة تهتم بتزكية النفوس وتهذيبها أكثر من العقوبة على الجريمة، أن المجرم الذي يثبت عليه الحد بإقراره، يجوز له أن يرجع عن إقراره، مما يسقط الحد عنه إضافة إلى سقوطه بوجود بعض الشبهات.

كما أن من شروط إقامة الحد على الجاني أن يكون الجاني مكلفاً ليس صبياً وأن يكون متعمداً للجناية وأن يكون مختاراً غير مكره عليها، وإلا فلا يقام عليه الحد.[3]

رابعاً: الحد من تسلسل الإجرام:

عندما تطبق العقوبة على الجاني، فإن في ذلك شفاء لغيظ قلوب أولياء المجني عليه فبذلك لا يتطلعون إلى قتل أي شخص من ذوي الجاني، بدافع الثأر أو الانتقام أو غيرها من

---

[1] ســورة البقرة: الآية الكريمة (178).

[2] ابن تيمية: **السياسة الشرعية**، ص 97.

[3] انظر: زيدان: **القصاص والديات**، ص 26 29 42.

المسميات، فأولياء المجني عليه، تكون قلوبهم مليئة غيظاً، لذلك وكما هو واقع كثير من الأمم والشعوب تراهم يسعون إلى قتل كل من يقع في أيديهم من ذوي القاتل، ولربما لا يرضون بأي شخص من العائلة، أو فرداً، بل قد يطال الأمر أكثر من واحد، أو شريف القوم وإن كانوا من الأبرياء، ولربما تستعين هذه الطائفة أو تلك، بأناس آخرين، برشوة أو أجرة أو غير ذلك وبذلك تتسع دائرة الفتنة والقتل وسفك الدماء، ولكن إذا طبق القصاص أو العقوبات بادي الأمر فإن ذلك يسد باباً واسعاً من أبواب الفتنة والثأر والانتقام ويحقن كثيراً من دماء الأبرياء.

من هنا وان كان في القصاص والعقوبة أذىً وضرراً وخوفاً لبعض الأفراد الجناة، إلا أن ذلك سبباً لحياة المجتمعات، في أمن وأمان واستقرار.[1]

خامساً: تطهير المجتمع:[2]

العقوبة مطهرة للمجتمع من الرذائل، ومكفرة لذنوب العباد، لأن الله عز وجل أرحم من أن يعاقبهم على الذنب مرتين، مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة بتعذيبهم عليها، فالذي في الدنيا إنما هو بمثابة الكفارة له يوم القيامة.

وعلى هذا لم تأت العقوبة من أجل الانتقام من المجرم، وإنما جاءت رحمة به ولإصلاحه، ولذا ينبغي على من يقيم العقوبة أن يتوخى الإحسان والرحمة، كما يقوم الأب بتأديب أولاده، فظاهر الأمر عقاب، وباطنه رحمة وإحسان، ومثل الطبيب الجراح الذي يجري العمليات، مع أن فيها شقاً لجسد المريض، وربما فيها إتلاف لبعض أعضائه، إلا أن الواقع تحقيق المنفعة والرحمة لهذا المريض.

---

[1] انظر: زيدان: **القصاص والديات**، ص 133 134.

[2] انظر: دراغمة: **أثر الظروف في تخفيف العقوبة**، ص 44.

فالعقوبة تحقق الرحمة للجاني، فإيقاعها عليه تطهير لنفسه، وإبعاد له عن الرذائل وتكفير لذنوبه، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني على الا تشركوا في الله شي ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ هذه الآية كلها فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شي فعوقب به فهو كفارته ومن أصاب من ذلك شيا فستره الله عليه أن شاء غفر له وأن شاء عذبه "[1].

وعلى هذا، جعل لنا الإسلام قاعدة نسير عليها، وهي الرحمة، فمن طبقها على الناس لا شك أن الله سبحانه وتعالى سيطبقها عليه يوم القيامة ثم يدخله الجنة.

فإصلاح الجاني، أحد أغراض العقوبة، حتى نصل في النهاية إلى نشر مكارم الأخلاق التي بعث النبي عليه الصلاة والسلام ليتممها.

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتب الحدود، باب الحدود والكفارة، (8/ 18).

المبحث الثاني

معالم أخرى للرحمة الإلهية

القران الكريم هو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وهو قانون السماء لهداية الأرض، وهو حجة الرسول ﷺ، وهو ملاذ الدين الذي تؤخذ منه العقائد والعبادات والأحكام، فالقرآن رحمة ومنّة من الله جل وعلا من ألفه إلى يائه،[1] فكل حرف منه رحمة وكل سورة رحمة وكل تشريع فيه رحمة، والمقام لا يتسع للحديث عن هذه الرحمات لذلك سيكون الحديث في هذا المبحث عن مظهرين من مظاهر الرحمة في نزول القرآن وهما:

- الرحمة في نزول القرآن منجماً.
- محمد ﷺ رحمة للعالمين.

المطلب الأول: نزول القرآن الكريم منجماً:

لقد شرف الله عز وجل القرآن بثلاثة تنزلات:

التنزل الأول: في اللوح المحفوظ، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[2].

التنزل الثاني: إلى بيت العزة من السماء الدنيا، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾[3].

---

[1] انظر الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهــل العرفان في علوم القرآن**، تحقيــق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، (بلا ط/ 2001مــ) (1/ 43) وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الزرقا ني: مناهل العرفان).

[2] سورة البروج: الآيتان الكريمتان (21 22).

[3] سورة الدخان: الآية الكريمة (3).

التنزل الثالث: كان على قلب النبي ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾[1].

وفي هذه التنزلات الثلاث مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للثقة والإيمان به، لأن الكلام إذا وثق بأكثر من سجل كان ذلك ادعى للتسليم بثبوته.

ومما لا خلاف فيه بين العلماء، أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث، على خلاف الكتب السماوية سابقاً، التي كانت تنزل جملة واحدة، لقوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[3].

فمن القرآن ما كان ينزل بسبب سؤال أو استفتاء من الصحابة،[4] ومنه ما كان ينزل بسبب حادثة أو واقعة ما، وهذا النزول يمثل مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية بعبادة المؤمنين، وقد ذكر العلماء جملة من الحكم والفوائد من نزول القرآن الكريم منجماً منها:

1. تثبيت قلب النبي ﷺ ومواساته، لما ينتابه من مشقة تبليغ الرسالة، ومما يلاقيه من عنت المشركين وصدهم، حيث إنه في تجدد نزول الوحي مع كل حادثة أو سؤال، سروراً يملأ القلب، وغبطة تشرح الصدر، بسبب ما يشعر به النبي ﷺ من

---

[1] سورة الشعراء: الآيتان الكريمتان (193 194).

[2] سورة الإسراء: الآية الكريمة (106).

[3] سورة الفرقان: الآية الكريمة (32).

[4] انظر:الزرقا ني: **مناهل العرفان**، ص 48 55.

العناية الإلهية، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[1].

2. تيسير حفظه على النبي ﷺ وعلى أصحابه الذين لم يكن لهم عهد بمثل هذا الكتاب المعجز من قبل، فهو ليس شعراً يسهل عليهم حفظه، ولا نثراً يشبه كلامهم، وإنما قولاً ثقيلاً في معانيه ومراميه، فلو أنه نزل جملة واحدة لعجز عن حفظه وفهمه.

3. التدرج في تربية من نزل فيهم، فليس من السهل على النفس البشرية أن تتخلى عمّا ورثته من عادات وتقاليد، حيث إن العرب في الجاهلية كانوا قد توارثوا كثيرا من العادات التي لا تتفق مع شريعة الإسلام، كوأد البنات وشرب الخمر وحرمان البنات من الميراث وغير ذلك من العادات التي جاء الإسلام وحاربها، فاقتضت حكمة الله تعالى، أن ينزل أحكامه شيئاً فشيئاً، تهيئة للنفوس وتدرجاً بها لترك ما تعلقت به من عادات، فكان الإسلام كلما نجح معهم في هدم باطل، انتقل إلى هدم آخر حتى طهرهم منها دون حرج ولا عنت.

4. مسايرة الحوادث المستجدة والنوازل الواقعة وربطها بأحكام شرعية خاصة بها، فان ذلك ادعى إلى فهم هذا الكتاب، حيث أن الإنسان عندما يربط بين الحكم الشرعي، بحادثة أو واقعة، يكون ذلك أبلغ وأقوى في فهم هذا الحكم الشرعي، فكثير من آيات القرآن الكريم تنزل بسبب أو سؤال أو غير ذلك، كحادثة الإفك وقصة الذين تخلفوا في تبوك وقصة المجادلة وغير ذلك.

5. تثبيت قلوب المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين، بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم بين الحين والآخر من قصص الأنبياء والمرسلين، وما كان شأنهم مع أقوامهم، وما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والأجر والتمكين، كقوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ

[1] سورة الفرقان: الآية الكريمة (32).

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾[1].

6. لفت أنظار المسلمين إلى أخطائهم، وإرشادهم إلى شاكلة الصواب، حتى تستفيد الأجيال من هذه التجارب العملية لهذه الأمة المسلمة.

﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾[2].

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[3].

7. بيان أن القرآن الكريم مصدره من الله تعالى، وليس من صناعة البشر، كما زعم المشركون، وبيان ذلك أن القرآن الكريم تنزل على مدار ثلاثة وعشرين عاماً على النبي ﷺ، لكنك عندما تقرأه من أوله إلى آخره، تجده محكم السرد، متقن السبك، متين الأسلوب، ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[4].

المطلب الثاني: محمد ﷺ رحمة للعالمين:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]

---

[1] سورة النور: الآية الكريمة (55).

[2] سورة التوبة: الآية الكريمة (25).

[3] سورة الأنفال: الآية الكريمة (67).

[4] سورة النساء: الآية الكريمة (82).

[5] سورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

إن من تمام رحمة الله بعباده، أن أرسل إليهم الرسل والأنبياء، ليكشفوا للناس طريق الحق والخير، وليبددوا منها ظلمات الشر والضلال، وليقيموا الحجة على الناس يوم القيامة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1].

ولقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، فعيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام، بعثا إلى بني إسرائيل، فكانت دعوتهما بركات ورحمات على أقوامهم في زمانهم ومكانهم، أما الرسول محمد ﷺ فلقد بعثه الله للناس كافة إلى قيام الساعة مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأعراقهم فقال جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2].

لقد كانت بعثة النبي محمد ﷺ رحمة عامة، لأنها أهدت للبشرية جملة من الحقائق التي يفتقرون إلى معرفتها، فوفرت عليهم عناء التيه في دروب من الباطل لا حصر لها فهي لم تدع الباطل يفسد على الناس عقائدهم وأعمالهم، سواء في المجال السياسي أو النفسي أو الاجتماعي، كما أن بعثة النبي محمد ﷺ، جاءت في أعقاب ديانات ونبوات أعطب الشيطان ثمارها، فأصابها ما أصابها من التحريف والتزوير والتبديل، إلا أن بعثة النبي محمد ﷺ كانت كلمة السماء الأخيرة إلى الإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة، لذلك كان لها من الضمانات ما يمنع العوج ويقي الانحراف، وتستفيد من الماضي، لتصون مستقبل الإنسانية الطويل، قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].[4]

---

[1] سورة الإسراء: الآية الكريمة (15).

[2] سورة الأعراف: الآية الكريمة (158).

[3] سورة النحل: الآيتان الكريمتان (63 64).

[4] انظر: الغزالي: **ركائز الإيمان**، ص 221، بتصرف.

إن الناس قبيل بعثة النبي ﷺ، كانوا أحد صنفين، إما كافر ينكر الإلوهية أو مؤمن معتل الفكر في تصوره لقضية الإلوهية، وعلاقة الإنسان بربه، فجاءت البعثة المحمدية إنقاذاً من هذا الإلحاد لأنها عرفت الإنسان بالله على أصدق وجه وبأقوى دليل.[1]

إن المرء ليقف حائراً عند الحديث عن رحمة النبي ﷺ، حيث كانت بعثته رحمة، ودعوته رحمة، وكان صمته رحمة، ونطقه رحمة، وسيرته كلها رحمة من ألفها إلى يائها، بل إن رحمته شملت البشر والحجر والشجر، ﷺ، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

إن من أوائل آيات الرحمة، أنه ﷺ، جاء آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر جاء ليحرم الخبائث ويحل الطيبات، جاء ﷺ ليضع الأغلال والآصار التي كانت على الأمم السابقة ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[3].

هذه المبادئ والقيم التي أعلنها جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة عندما قال: "كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم...، ونهانا عن الفواحش...".[4]

---

[1] انظر: الغزالي، محمد: **ركائز الإيمان بين العقل والقلب**، الدار الشامية، بيروت، (ط4/ 1999مــ)، ص 220 223 وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (الغزالي: ركائز الإيمان).

[2] سورة الأنبياء: الآية الكريمة (107).

[3] سورة الأعراف: الآية الكريمة (157).

[4] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**، دار الفجر للتراث، القاهرة، (ط2/ 2004مــ)، ص 215.

بل إن خديجة رضي الله عنها، قد أعلنت من قبل جوامع هذه الرحمة عند النبي ﷺ فقالت: "إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعيين على نوائب الحق"[1].

لقد كان ﷺ حريصاً على هداية الناس كافة، هذه هي الرحمة التي حملته على أن يتحمل من أجلها أشد أنواع العذاب والسخرية والاستهزاء هذه هي الرحمة التي جعلته يكافح في دعوته من غير ملل ولا فتور حتى كان يشق على نفسه في سبيل ذلك فأنزل الله عز وجل في ذلك آيات من التسلية والمواساة ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[2] ﴿ **فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ** ﴾[3].

لقد آذاه قومه أشد الإيذاء، وحاكوا ضده كل مكر وخديعة وسخرية، ووضعوا الأشواك والأوساخ في طريقه، وحاولوا أن يقتلوه وأن يخنقوه، ووضعوا سلا الجزور على رأسه وهو يصلي، إن النبي ﷺ لما ذهب يدعو أهل الطائف إلى دين الله، أغروا به سفهاءهم حتى رجموه بالحجارة ، وسالت الدماء الطاهرة من قدميه ﷺ، ولما عرض عليه ملك الجبال أن يخسف بهم الأرض وأن يطبق عليهم الجبال أبى وقال: "بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا"[4].

وعندما طلب منه ﷺ أن يدعو على المشركين رفض ﷺ وقال: "إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة"[5].

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، (1/ 3).

[2] سورة الكهف: الآية الكريمة (6).

[3] سورة فاطر: الآية الكريمة (8).

[4] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي، حديث (111) (3/ 1421).

[5] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب، حديث (87) (4/ 2007)

وأما رحمته ﷺ بالمؤمنين من أمته، فقد فاقت كل عقل وتصور، كان أرحم بهم من أنفسهم، ومن آبائهم وأمهاتهم اللائي ولدنهم، فكان ﷺ يتعهد الحاضر منهم ويسأل عن الغائب، كان يشيع الميت، ويزور المريض، كان يشمت العاطس، ويعين الضعيف ويجالس الفقراء، ويلاعب الأطفال، ويمازح العجائز، فكان ﷺ لأمته بمثابة الأب الحاني لأمته، فكان ﷺ كما قال جل وعلا في شأنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

بل إن رحمته ﷺ امتدت لتشمل الحيوان، فقال ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته"[2].

وأنكر النبي ﷺ على أصحابه الذين أخذوا فراخ بعض الطيور، وعدّ ذلك فجيعة للأم بأولادها فقال لهم حاثاً إياهم على إرجاعها: "من فجع هذه بولدها"[3].

---

[1] سورة التوبة: الآية الكريمة (128).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح، حديث (57) (3/ 1548).

[3] أبو داود: **السنن**، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو، حديث (1622)، (3/ 55)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث (52)، ص 291.

الفصل الرابع

موانع الرحمة الإلهية

المبحث الأول: الشرك بالله.

المبحث الثاني: الفساد في الأرض.

المبحث الثالث: كثرة الذنوب والمعاصي.

المبحث الرابع: النفاق.

المبحث الأول

الشرك بالله

كما ذكر في الفصل الثاني، أن الإيمان بالله والامتثال لطاعته من أهم الأسباب التي تؤهل الإنسان إلى رحمة الله تعالى، فإن الشرك بالله تعالى من أهم الأسباب التي تحول ما بين الإنسان ورحمة الله تعالى وتجعله غير مستحق لها.

إن أعظم معصية عصى الإنسان بها ربه جل وعلا منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة، هي الشرك بالله، حتى وصفه جل وعلا في كتابه بالظلم العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وما ذلك إلا لما فيه من الجناية العظيمة والاعتداء الصارخ على حق الله جل وعلا.

فالله هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو المحيي والمميت، وهو مالك الملك جل وعلا، وهو الذي أسبغ نعمه على الإنسان ظاهرة وباطنة، إلا أن هناك من يجحد ذلك وينكره ويصرف عبادته وتعظيمه لغير سبحانه وتعالى فما أعظمه من ذنب وما أشده من جور، لذلك فقد توعد الله أمثال هؤلاء المشركين بأقسى العقوبات وأشدها، ألا وهي الخلود الأبدي في النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

إن كل ذنب مات العبد عنه من غير أن يتوب منه في الحياة الدنيا، كان العفو والمغفرة فيه وارد يوم القيامة من الله جل وعلا، إلا الشرك والكفر، فإن الله قد قطع رجاء المشركين من ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ

---

[1] ســورة لقمان: الآية الكريمة (13).

[2] ســورة المائدة: الآية الكريمة (72).

﴿ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[1].[2]

والشرك المقصود في هذا الكلام هو الشرك الأكبر المخرج من الملة والدين وهو أنواع: [3]

أولاً: شرك في الألوهية:

وهو صرف العبادة أو نوع من أنواعها لغير وجه الله تعالى، كمن يتقرب بعبادته للأصنام والأوثان والقبور وغيرها، وبدعوى أنها تقرب الى الله تعالى جل وعلا، كما كان حال المشركين الذين عبدوا معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة من مخلوقاته فكانوا يقولون في تلبيتهم "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك". [4]

فأنكر الله ذلك عليهم وقال في شأنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[5].

فهذا كله صور من صور الشرك في الألوهية، فالله عز وجل لم يجعل بينه وبين عباده واسطة من خلقه، فالواجب على الإنسان أن يتقرب الى الله وحده من غير واسطة، فهو مستحق جميع أنواع العبادة، من الخوف والرجاء والصلاة والزكاة وغيرها من العبادات القلبية والبدنية كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[6].

---

[1] ســـورة النساء: الآية الكريمة (48).

[2] انظر: الطبري **جامع البيان،** مج 3 (4/ 206).

[3] انظر: سوندك، د. خضر: **مدخ ل جديد الى عقيدة التوحيد،** مكتبه النار، عمان، (ط1/ 1989مــ)، ص 130 150، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً (سوندك: عقيدة التوحيد).

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (4/ 81).

[5] ســـورة الزمر: الآية الكريمة (3).

[6] ســـورة الأنعام: الآيتان الكريمتان (162 163).

ثانياً: شرك في الربوبية:

وهو اعتقاد الإنسان أن ثمّة متصرف في الكون بالخلق والتدبير مع الله تعالى كما كان حال فرعون عندما قال: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[1] فما كان إلا أن أغرقه الله سبحانه وتعالى في البحر وذلك إمعاناً في إبطال دعواه إذ كيف يغرق الرب في ملكه الذي يسيره ويدبر شؤونه.

ثالثاً: شرك في الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد الإنسان أن ثمّة مخلوق يتصف بصفات الله عز وجل، كاتصاف الله بها كمن يعتقد أن بشراً يعلم من الغيب مثل علم الله، أو أن أحداً لديه من القدرة المطلقة بحيث لا يستعصى عليه شيء.

وقد جمع النبي ﷺ جميع هذه الأنواع من الشرك في جمله واحده عندما سئل عن الشرك فقال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"[2].

والندّ: هو النظير أو المثيل، فكل من أشرك في ربوبية الله أو إلوهيته أو أسمائه وصفاته فقد جعل لله نداً.

بل أن النبي ﷺ عد الشرك بالله من الموبقات المهلكات فقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" [3].

ومن خلال الاستقراء لكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع الشرك، نجد

---

[1] ســورة النازعات: الآية الكريمة (24).

[2] البخاري: **صحيح البخاري** كتاب الأدب، باب قتل الولد خشيه أن يأكل (7/ 75).

[3] المرجع السابق كتاب الوصايا باب الذين يأكلون أموال اليتامى (195/ 3).

أن المشرك بالله من أبعد ما يكون عن رحمة الله عز وجل، فمن آثار الشرك على الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة ما يلي:

1. حبوط الأعمال في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

2. حياة الخوف والرعب والقلق، لقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

3. الحرمان من دخول الجنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[3].

4. براءة الله ورسوله من المشركين، لقوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[4].

5. استحقاق العذاب في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[5].

مما سبق، تبين أن أمر الشرك عظيم وخطير، وهو من أظلم الظلمات وأقبح الجرائم بحق الله جل وعلا، ولا يمكن للإنسان أن يحذر منه ومن الوقوع فيه إلا إذا عرف خطره، لذا يجب على كل مسلم معرفته، ليسلم منه وليكون على بينة من أمره حتى لا يقع فيه، لأنه إذا لم يعرفه ربما يقع فيه وهو لا يدري.

---

[1] سورة الزمر: الآية الكريمة (65).

[2] سورة آل عمران: الآية الكريمة (151).

[3] سورة المائدة: الآية الكريمة (72).

[4] سورة التوبة: الآية الكريمة (3).

[5] سورة الأحزاب: الآية الكريمة (73).

لذلك كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ عن الشر، مخافة أن يقع فيه فقال: "كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[1].

المبحث الثاني

الفســـــاد في الأرض

لقد عرّف ابن منظور الفـــساد بقوله: الف ساد نقيض الصد لاح، وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام والمف سدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح.[2]

[1] البخاري: **صحيح البخاري** كتاب المناقب باب علامات النبوة، (4/ 178).

[2] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فسد) (3/ 335).

والحديث في هذا المقام ليس عن الفساد بالمفهوم الاصطلاحي أو الشرعي، وهو خروج الناس على الأحكام الشرعية، والتنكب لها وإن كان هذا رأس أمر الفساد وإنما الفساد بالمفهوم العام، كما استعمله القرآن الكريم، فالقرآن يستعمل مصطلح الفساد تارة نقلاً على لسان أتباع فرعون لدعوة موسى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، أو كما جاء على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[2]، وتارة يستعمل القرآن لفظ الفساد في وصف الطغاة الخارجين على الأحكام الشرعية، أو في التحذير مما يوصل الى الفساد كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[4].

ومن خلال تتبع آيات الفساد في كتاب الله عز وجل، يلحظ أن هناك شبه تلازم واقتران ما بين مصطلح الفساد ومصطلح الأرض، فقد ذكر مصطلح الفساد في كتاب الله عز وجل ما يقارب خمسين مرة، وقد اقترن مصطلح الأرض به ما يقارب أربعين مرة، وما تبقى من آيات الفساد التي لم يقترن فيها مصطلح الأرض، فكان الحديث فيها عن وصف عمل المفسدين وعاقبتهم، كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[5].

إذاً: فالـ معنى الـ ذي يـ ستفاد مـ ن هـ ذا التـ لازم والاقـ تران، أعـ م وأشـ مل مـ ن عـــدم الالتزام بالأحكام الـــشرعية.

---

[1] ســـورة الأعراف: الآية الكريمة (127).

[2] ســـورة غافر: الآية الكريمة (26).

[3] ســـورة القصص: الآية الكريمة (83).

[4] ســـورة الأنفال: الآية الكريمة (73).

[5] ســـورة الأعراف: الآية الكريمة (103).

فالفساد، قضية عامة، وليست قضية فردية، كما أن الحديث عن الأرض يعني الحديث عن مكان خلافة الإنسان ونظام حياته الذي ارتضاه الله تعالى له، فالفساد في الأرض هو عدوان على نظام الحياة وأصل خلقها وسنن سيرهما.

لذلك فتساؤل الملائكة عن خلق الإنسان، واستخلافه في الأرض عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[1]، لم يكن لمجرد الروايات القصصية أو الأخبار التاريخية، وإنما كان يحمل دلالة مهمة بشأن مستقبل الإنسان في الأرض وإفساده فيها فسفك الدماء دلالة واضحة على قمة العدوان على نظام الحياة والقيم والأخلاق والعادات والأعراف، فمن يرتكب عدواناً على حق إنسان في الحياة يرتكب ما هو أدنى من ذلك من عدوان على حقوق الناس.[2]

إن هناك حاجات أساسية، وحقوقاً عامة، ضمنها الشارع للإنسان وحرم الاعتداء عليها وهي: الأمن على الأموال والأعراض والأنفس، لأن هذه الأمور إذا توافرت للإنسان، كانت من أهم أسباب استمرار الحياة السعيدة واستقرار المجتمعات، لذلك فقد اعتبر القرآن الكريم أن أي تهديد لهذه الحاجات، أو الإخلال بها، مظهر من مظاهر الفساد، وتوعد عليها بالعقاب الشديد، فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وفي ه ذا دلالة على أنه لا مكان للرحم ة بالمف سدين، ومثيري الفوضـــى ومهدري الحقوق الذين يعيث ون في الأرض ف ساداً، فإن ترك هؤلاء، يفتح أبواب العذاب على المجتمع

---

[1] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (30).

[2] انظر: القرضاوي: **هذا ديننا** ص 180.

[3] ســـورة المائدة: الآية الكريمة (33).

وإغراءاً بالظلم وإسد قاطاً للقيم، ف لا بد م ن الحفاظ على أم وال الناس وصــيانة أعراضهم وأنفسهم من خطر المفسدين.

إن شيوع ظاهرة الفساد، بكل أشكاله وألوانه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأخلاقي... يجعل حياة المجتمع في رعب دائم، وفي خوف على حاضر الناس ومستقبلهم، وتصبح الحياة بلا أمل وغير قابلة للتطور.

إنه لا معنى للحياة إلا إذا عم أهلها الألفة والمحبة، وشاع بينهم الأمن والهدوء، فالتاجر آمن على تجارته، والمزارع آمن على زرعه، والصانع آمن على صناعته، وكل أفراد المجتمع منصرفون إلى تعمير البلاد.

إن الفساد إذا انتشر بين الناس، قطعت الأوصال وتباعدت القلوب، وهجرت الأرحام وساد الهجر والخصام، وانتشرت اللامبالاة والسلبية بين أفراد المجتمع، وتحول كثير من الناس إلى عصابات متناحرة، لا ترعى لأحد إلاً ولا ذمة، وبذلك يكون الناس أبعد ما يكونون عن رحمة الله عز وجل، لذلك جاء في الحديث القدسي ما يبين أن صلة الأرحام والتواصل ما بين الناس سبب في رحمة الله عز وجل فقال: "أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته"[1].

---

[1] سبق تخريجه في الفصل الأول، ص 9.

المبحث الثالث

كثرة الذنوب والمعاصي[1]

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2].

لقد بين الباحث في فصل سابق، أن الامتثال لطاعة الله تعالى وأوامره، واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده، سبب من أسباب رحمة الله عز وجل، فإن المعاصي والذنوب والآثام مما يبعد الإنسان عن هذه الرحمة، ويجعله غير مستحق لها.

إن سنة الله تعالى في الكون والحياة، أن الحياة الطيبة السعيدة إنما تكون لأهل الله وأهل طاعته، الذين يؤمنون به، ويسيرون على نهجه ويتبعون هداه، ويستمسكون بما أنزله من كتاب فيصلحون في الأرض ولا يفسدون، فذلك هو عز الأمم وسعادتها، وسر قوتها وبقائها، وأن كل أمة تخرج عن جادة الطريق وتحيد عن طريق الله السوي تبدل عزها ذلاً وقوتها ضعفاً.

إن القرآن الكريم في كثير من سوره، قص علينا كثيراً من قصص الأمم الغابرة، كيف هلكت، وأصبحت عبرة للمعتبرين ومثلاً للآخرين وما كرر القرآن وذكر هذه القصص، إلا من أجل أن نأخذ العبرة في كل حين، ونأخذ أسباب العزة والقوة والبقاء، ونتجنب أسباب الضعف والهلاك والفناء.

---

[1] انظر: ابن القيم، شمس الدين محمد بـــن أبي بكر الجوزية، (ت: 751هــ): **الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، تحقيق: د. محمـــد غازي، مطبعة المدني، مصر، (ط2/ 1989مـــ)، ص 69 77، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً **(ابن القيم: الدواء والداء)**.

[2] ســـورة البقرة: الآيتان الكريمتان (81 82).

لقد كان الكثير من الأمم السابقة تعيش عيشاً رغيداً، تتمتع بالقوة والسعة والخيرات والنعيم، ولكنها زاغت عن الحق، وحادت عن الطريق، وسلكت سبل الشيطان، فكذّبت الرسل وكفرت بنعم الله، واتبعت الهوى، فأخذها الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، حتى كانت من الهالكين وأصبحت بعد قوتها وعزها ومجدها، أثراً بعد حين كأن لم تكن بالأمس، فأغرق الله قوم نوح وفرعون، وقلب قرى قوم لوط، وجعل عاليها سافلها وعذب قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وصدق الله العظيم القائل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

إذاً: فالذنوب والمعاصي والتنكر لدين الله تعالى وأوامره، والتجاوز لحدوده واقتحامها، من أهم ما يجلب العذاب، ويطرد الرحمة والخيرات، فالذنوب والمعاصي إذا استولت على القلوب دفعت إلى أعظم الشرور وأبشع الجرائم، فها هي تدفع بني إسرائيل إلى الكفر بالله وآياته، وقتل الأنبياء، حتى حكم الله عليهم بالذل والهوان، والتعاسة والشقاء ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[2].

إن الذنوب والمعاصي شؤم على العباد، شؤم على الفرد والجماعة والناس جميعاً، بل حتى على البهائم والحيوانات فبسبب الذنوب والمعاصي تحرم الأمة الخيرات والثمرات وبركات الأرض والسماء: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3].

---

[1] ســورة العنكبوت: الآية الكريمة (40).

[2] ســورة آل عمران: الآية الكريمة (112).

[3] ســورة الأعراف: الآية الكريمة (96).

بل إن الذنوب والمعاصي تجلب الذل والهوان، وضنك العيش في شتى جوانب الحياة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1]، فقد يكون فرد من الناس لديه الكثير من الأموال والثروات والعقارات ولكنه كثير المعصية لله، وقليل التوبة والاستغفار، فتراه مضطرباً حيراناً في حياته يخاف من كل شيء من الفقر والمرض والموت بل يخاف من المستقبل وما ذلك إلا أثراً للذنوب والمعاصي.

إن المعاصي توجد الوحشة في قلب الإنسان، وتسد عليه أبواب الخير وتعسر عليه الأمور، فمن اتقى الله يسّر له أموره ومن عصاه جعل له من أمره عسراً: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2].

كما أن المعاصي سبب لهوان العبد على الله عز وجل، وإذا هان العبد على ربه، فلا مكرم له من دونه قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[3].

إن الله عز وجل قد أنعم على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، ليستعينوا بها على طاعة الله وقربه، وتكون أداتهم للوفاء بحق الله وشكره، و سبباً لنزول رحمته، فإذا فعلوا ذلك فإن ذلك مدعاة إلى أن يسلبهم هذه النعمة التي لا يستحقونها ويعاتبهم على كفرها ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[4].

---

[1] ســورة طه: الآية الكريمة (124).

[2] ســورة الطلاق: الآيتان الكريمتان (2 3).

[3] ســورة الحج: الآية الكريمة (18).

[4] ســورة النحل: الآية الكريمة (112).

هذا وقد ذكر الإمام ابن القيم في كتابه الداء والدواء ما يزيد عن مائة أثر للذنوب والمعاصي في حياة الإنسان فمن أحب المزيد من هذا الموضوع فعليه بهذا الكتاب.

إن الذنوب والمعاصي ظلام دامس يغرق القلوب، والعيون والأذان، ويحجب نور الله تعالى عنها، فيا تعاسة من أشربها قلبه، والسعادة كل السعادة، لمن عرف حدود الله فوقف عندها لذلك فقد بين النبي ﷺ خطرها فقال: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً"[1].

فالقلوب إذا أصبحت سوداء قست وإذا قست أصبحت أبعد ما تكون عن رحمة الله عز وجل.

المبحث الرابع

النفاق

النفاق داء عضال مهلك، وانحراف خلقي خطير في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، ما ظهر في أمة من الأمم، إلا كان نذيراً بدمارها وشقائها وعذابها، فالمنافق يعمد إلى هدم بناء المجتمع من الداخل بوسائل شتى، دون أن ترقبه العيون، أو تدور حوله الظنون لأنه يلبس لباس المسلمين، ويتكلم بلسانهم، فالنفاق عار عليه في الدنيا، ونار في الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[2].

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الإسلام غريباً، حديث (231) (1/ 128).

[2] ســورة النساء: الآية الكريمة (145).

وخطر النفاق على الصف المسلم ووحدة كلمته يفوق خطر الخصم اللدود، لذلك فقد حرص القرآن الكريم أن يبين صفات هؤلاء ويحذر من مكائدهم، ويكشف خبايا نفوسهم وأسرارهم أكثر من الحديث عـــن صفات الكافرين.*

ففي بدايـــة ســـورة البقـــرة تجد الحديث عن الكافرين في آيتين اثنتين (6 7) أما المنافقـــون، فكان الحديث عنهم من الآية السابعة حتى العشرين، والقرآن يفصل في نفسية هـــؤلاء القوم وأمراضهم وخبايا نفوسهم، إلى أن أكدّ هلاكهم وخسارتهم بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[1].

بل إن من تمام عناية الله ورحمته بالمؤمنين، أن تولى إدارة المعركة التي بين المؤمنين والمنافقين وجعل المنافقين كالمخادعين له، لمخادعتهم المؤمنين، وما أشقى وما أتعس من يكون الله خصمه، إنه لا يشم رائحة السعادة في شتى شؤون الحياة، لأن الله سيشل حركتهم، ويحبط مساعيهم ويجعلهم يتخبطون في الظلمات: ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾[2].[3]

الخاتمـة:

بعد استعراض موضوع الرحمة الإلهية في القرآن الكريم، من خلال الاستقراء لجمٍّ غفير من الآيات القرآنية، يمكن الخلوص الى النتائج التالية:

1. إن الرحمة صفة من صفات الله التي وصف بها نفسه، والتي شملت الوجود وعمت الملكوت وهي الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه، وبين الخالق ومخلوقاته، وهي الأساس لقضاء الله وعدله بين جميع الكائنات.

---

* انظر: الآيات (8 20) من ســـورة البقرة.

[1] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (16).

[2] ســـورة البقرة: الآية الكريمة (17).

[3] انظر: الدوســـري، عبد الرحمن: **النفاق وآثاره ومفاهيمه**، دار الأرقم، الكويت، (ط2/ 1982مـــ) ص 29 30.

2. إن أساس الرحمة الإلهية قائم على الإحسان والإنعام والتفضل على العباد، المجرد عن الرقة والتعطف.

3. الرأفة من نظائر الرحمة، وهي أشد الرحمة.

4. الرأفة والرحمة، إذا اقترنتا في السياق، فيقصد بالرأفة درء المفاسد وبالرحمة جلب المصالح.

5. الرحمة الإلهية لا تأتي بالتمني ولا بالتحلي، وإنما لا بد لها من سنن وأسباب ترتبط بها، كما هو مبين في الفصل الثاني.

6. الرحمة الإلهية، جوهر القرآن، وهي الهدف الأسمى والغاية الأعلى للرسالة الإسلامية، من أجل تحقيق السعادة للإنسان والحيوان، والشجر والحجر، وكافة دوابّ الأرض، كما هو مبين في الفصل الثالث والرابع.

7. الإكثار من ذكر موضوع الرحمة في القرآن الكريم، من أجل ترغيب المسلمين على التحلي بهذا الخلق أولاً، ومن ثم بيان أن الإسلام دين الرحمة والمحبة والسلام.

8. التصور القرآني الشامل لموضوع الرحمة، يدل على سعة رحمة الله بعباده، وأنه أرحم بهم من أنفسهم، ومن أمهاتهم اللائي ولدنهم.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآيات القرآنية

الآيـ ـة	السورة	رقم الآيـ ـة	رقم الصـ فحة
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ	البقرة	البقرة	140

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ		16	
وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ	البقرة	17	140
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ	البقرة	30	135
بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	البقرة	81 -82	137
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ	البقرة	105	20
قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى	البقرة	120	72
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	البقرة	135	54
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ	البقرة	152	47
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	البقرة	153	41
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ	البقرة	155 - 157	53
فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	البقرة	173	84
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ	البقرة	178	26

شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ			
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	البقرة	179	50
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	البقرة	183	36
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ. . . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ. . .	البقرة	184 - 185	96
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ	البقرة	185	97
وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	البقرة	188	109
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ	البقرة	194	37
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	البقرة	195	51
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ	البقرة	197	23
فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ	البقرة	197	93
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. .	البقرة	218	66
الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ	البقرة	229	50
فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. . .	البقرة	239	32

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ. . . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	البقرة	275 - 279	105
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ	البقرة	278	36
لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا	البقرة	286	94
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ. .	آل عمران	19	73
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً	آل عمران	30	40
وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ	آل عمران	104	64
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	آل عمران	106 - 107	24
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ	آل عمران	110	64
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ	آل عمران	112	52

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	آل عمران	132	57
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	آل عمران	133	56
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ	آل عمران	135	54
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ	آل عمران	151	21
(. . . فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ	آل عمران	195	67
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً	النساء	1	80
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً	النساء	28	83
وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل	النساء	75	69
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً	النساء	83	27
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ		85	33

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً	النساء	86	50
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً	النساء	100	67
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً	النساء	101	96
وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ. . . وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً	النساء	102	84
وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ	النساء	131	37
وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً	النساء	142	47
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً	النساء	145	140
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيما	النساء	175	24
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ	المائدة	3	73

الإِسْلامَ دِيناً			
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	المائدة	6	76
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً	المائدة	32	113
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	المائدة	33	135
وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ	المائدة	45	27
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاس	المائدة	67	25
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ	المائدة	72	130
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	المائدة	78 -79	65
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ	المائدة	101	82

يا أيها الذين امنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم	المائدة	105	22
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	المائدة	120	102
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	الانعام	54	1
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	الانعام	122	44
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	الانعام	123	110
قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	المائدة	162	100
وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	الانعام	164	115
فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ	الاعراف	35	38
وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ	الاعراف	56	50
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ	الاعراف	96	138
قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ)	الاعراف	23	59
أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ	الأعراف	127	134

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ	الاعراف	156	1
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ	الاعراف	157	126
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ	الاعراف	158	125
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ	الاعراف	165	64
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	الاعراف	196	37
وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	الاعراف	204	44
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ	الأنفال	9	40
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ	الأنفال	24	56
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	الأنفال	39	68

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)	الأنفال	60	69
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	الأنفال	63	61
مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ	الأنفال	67	124
إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ	الأنفال	73	134
أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ	التوبة	3	133
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً	التوبة	25	124
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. . . . هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ	التوبة	34 -35	104
إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً. .	التوبة	39	70
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ	التوبة	67	64
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	التوبة	71	56
لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى	التوبة	91	95

الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ			
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا	التوبة	103	41
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ	التوبة	128	80
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ	يونس	26	32
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ	يونس	57	2
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ	يونس	57 -58	2
وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ	هود	28	20
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي	يوسف	53	26
الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	الرعد	28	46
أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ	ابراهيم	24	32
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ	ابراهيم	27	34
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ	الحجر	22	21

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (46) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ	الحجر	45 -48	48
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	النحل	41	76
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	النحل	63 -64	126
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ	النحل	89	23
مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يعملون	النحل	97	33
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	النحل	112	138
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	النحل	125	50
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً	الإسراء	15	125
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً	الإسراء	23	50

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ.	الإسراء	27	109
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً	الإسراء	28	25
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الإسراء	70	111
وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودا	الإسراء	79	48
وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً	الإسراء	106	123
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً	الكهف	6	126
رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً	الكهف	10	39
فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقا	الكهف	16	40
يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً (12) وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً	مريم	12 - 13	16
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً	مريم	63	17
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً	مريم	72	38
أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	مريم	93	80

وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى	طه	54	71
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً	طه	124	72
وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ	الأنبياء	30	21
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ. . .) (الأعراف59)، (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ	الأنبياء	92	32
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	الأنبياء	107	2
وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ	الحج	18	139
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.	الحج	77	44
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	الحج	78	95
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ	المؤمنون	1 -2	88
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ	النور	2	14
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	النور	55	34
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً	الفرقان	32	123

نزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ	الشعراء	193 - 194	122
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ	النمل	40	75
لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	النمل	46	58
قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	القصص	16	59
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا	القصص	77	102
تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ	القصص	83	134
أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ	العنكبوت	2	52
فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	العنكبوت	40	138
إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ	العنكبوت	45	41
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	لقمان	13	130
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ	الروم	30	94

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ	الروم	46	21
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً	الأحزاب	35	47
هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً	الاحزاب	43	34
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً	الأحزاب	73	133
وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ	سبأ	34	110
فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ	فاطر	8	15
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	يس	45	37
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	الزمر	3	131
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ	الزمر	9	48
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	الزمر	10	54
إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي	الزمر	38	28

بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ			
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	الزمر	65	132
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً	غافر	7	12
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ	غافر	26	134
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. . . . . وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ	فصلت	30 - 35	54
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ	فصلت	34	33
مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا	فصلت	46	41
أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ	الشورى	21	94
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	الشورى	38	85
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	الزخرف	32	20

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ	الدخان	3	122
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ	الدخان	38	74
يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (41) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	الدخان	41 - 42	29
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	الفتح	29	28
وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	الحجرات	9	61
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	الحجرات	10	61
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ	الحجرات	13	78
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ	الذاريات	56	86
هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ	الرحمن	60	50
قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ	الرحمن	111	8
لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ	الواقعة	70	22
وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ	الحديد	7	102
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ	الحديد	12	35

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ	الحديد	25	73
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً	الحديد	27	15
وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ. . .	الحديد	27	15
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ	المجادلة	19	46
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الجمعة	10 - 11	103
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	المنافقون	8	33
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	التغابن	11	55
يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ	الطلاق	1	36
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ	الطلاق	2 -3	38
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً	الطلاق	5	38
أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير	الملك	14	22

إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ	المعارج	19 - 23	41
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ	المعارج	34	89
ما سلككم في صقر قالوا لم نك من المصلين	المعارج	42 - 43	90
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً	الفجر	20	100
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى	الليل	8-11	110

فهرس الأحاديث النبوية

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه	116
أعظم الناس أجرا أبعدهم فأبعدهم ممشى	99
أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل	98
إن الدين يسر ولن يشاد الدين احد إلا غلبه	97
لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	94
و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد	115
لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا	61
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	57
بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج	7
من أحب إن يبسط الله في رزقه	25
من حج فلم يرفث ولم يفسق	43
مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر	46
لما قضى الله الخلق كتب في كتابه	29
ما لعبدي المؤمن عندي من جزاء إذا قبضت صفيه	53
إن الرحم شجنة من الرحمن	10
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا	49
أن لله مائة رحمة جزء منها	1
إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم	49

لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن عمره	103
من غش فليس من الترمذي	108
الدعاء هو العبادة	108
عليكم بقيام الليل	39
أنا الرحمن وهي الرحم	9
أنا مع عبدي إذا هو ذكرني	47
من لم يدع الله سبحانه غضب عليه	39
ليس شيْ أكرم على الله من الدعاء	39
إن الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها	82
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	87
من فجع هذه بولدها	128
كان إذا هاجت ريح شديدة	23

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت (ط3/ 1404هـ).

ابن العربي، أبو بكر عبد الله (ت: 543هـ): **أحكام القرآن**، دار الجيل، (بلا ط/ 1987مـ).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزي الدمشقي، (ت: 751هـ): **أعلام الموقعين عن رب العالمين،** الطباعة المنيرية، (بلا ط/ ت).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزي الدمشقي، (ت: 751هـ): **مفتاح دار السعادة ومنشور علم الولاية والإرادة** دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ط/ ت).

ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت: 728ه): **الاستغفار وأهميته وحاجة العبد إليه** دار ابن حزم، بيروت (ط1/ 1995مـ).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت: 728ه): **الاستقامة،** تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، مصر، (ط2/ 1409هـ).

ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت: 728ه): **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،** دار الكتاب العربي، مصر، (ط4/ 1999مـ).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** دار المنار، القاهرة ترقيم: محمد فؤاد (ط1/ 1999مـ).

ابن حميد، صالح بن عبد الله: **رفع الحرج عن الشريعة الإسلامية،** مكتبة العبيكان، الرياض (ط1/ 2004مـ).

ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321ه): **جمهرة اللغة** دار العلم للملايين بيروت تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي.

ابن سيدة، علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة،** مكتبة مصطفى الحلبي، مصر تحقيق: عائشة عبد الرحمن (ط1/ 1958مـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير** دار سحنون، تونس، (بلا ط/ 1997).

ابن عاشور، محمد الطاهر: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، دار سحنون، تونس، (بلا ط/ 2006مـ).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر العربي، بلا رقم سنة 1978مـ، تحقيق: عبد السلام هارون.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: 1292مـ): **الفوائد** مكتبة الحياة، بيروت، (بلا ط/ ت).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: 1292مـ): **تهذيب مدارج السالكين**، مؤسسة الرسالة (ط5/ 1996مـ).

ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، دار الأندلسي، بيروت، (ط1/ 1966مـ).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 275هـ): **سنن ابن ماجه** دار الفكر، (بلا ط/ ت).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار لسان العرب، بيروت، (بلا ط/ ت).

أبو حمد، د. رضا صاحب: **الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي**، دار مجدلاوي، عمان، (ط1/ 2006مـ).

أبو زهرة محمد: **الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي** دار الفكر العربي (بلا ط/ ت).

أبو فارس، د. محمد عبد القادر: **الجهاد في الكتاب والسنة**، دار الفرقان، عمان، (ط1/ 1998مـ).

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت (بلا ط/ 1978م).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسد ماعيل بـ ن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي: **صحيح البخاري** (8 مجلدات)، دار الفكر العربي، بيروت (بلا ط/ بلا ت).

برج، د. أحمد محمد إسماعيل: **أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، (بلا ط/ 2004م).

البقاعي، برهان أبو الحسين إبراهيم بن عمر (ت:885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** دار الكتب العلمية بيروت (ط1/ 1953م).

البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** دار الفكر (بلا ط/ ت).

البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي، (ت: 458هـ): **السنن الكبرى**، تحقيق: أحمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ط/ 1994م).

الترمـ ذي، أبو عيـ سى محمد بن سـ ورة: **سـنن الترمـذي**، جمعيـ ة الحكمـ ة الإسـ لامي (بلا ط/ 1421هـ).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: **الجامع الصحيح**، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: كمال الحوت (ط1/ 1987م).

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** مؤسسة الأعلى، بيروت (بلا ط/ بلا ت).

جريـ شة، د. علي محمـ د: **أسـ اليب الغزو الفكري للعالم الإسـ لامي**، دار الاعتصام، القاهرة، (بلا ط/ ت).

الجزائري أبو بكر جابر: **منهاج المسلم** مكتبة الإيمان المقصورة (بلا ط/ ت).

الجوهري، إســــماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة (رحم)، دار العلم للملايين، بيروت (ط2/ 1997مــ).

الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتاب العربي، بيروت، (بلا ط/ ت).

حسن، د. محمد السيد: **أسرار المعاني المثلى في أسماء الله الحسنى**، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية (ط3/ 2004مــ).

حسنين، مصطفى: **أضواء على المعاملات المالية في الإسلام**، مؤســــسة الوراق، الأردن، (بلا ط/ 1999مــ).

حسين، محمد الخضر: **الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان**، مجلة الأزهر (بلا ط/ 1428هــ).

الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن (ت: 1012هـ): **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي فوده دار الفكر (ط1/ 1979مــ).

خالد محمد خالد: **رجال حول الرسول** ﷺ، دار الفكر، بيروت، (بلا ط/ ت).

الخالدي د. محسن سميح: **الرحم والرحمن بين الاشتقاق والتفسير** مجلة جامعة النجاح للأبحاث مج 18 عدد(1) (2004مــ).

الدامغاني، الحسين بن محمد: **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر من القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت (ط1/ 1970مــ) تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل.

دراغمة، محمد عبد النعم عطية: **أثر الظروف في تخفيف العقوبة**، رسالة ماجستير، مكتبه جامعه النجاح الوطنية، نابلس، (بلاط/ 2005مــ).

الدهلوي شاه ولي الدين عبد الرحيم: **حجة الله البالغة**، طبعة الأوف ست، دار المعرفة، بيروت، (بلا ط/ ت).

الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**.

الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة بيروت (بلا ط/ ت) تحقيق: محمد سيد كيلاني.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **مقدمة جامع التفاسير**، دار الدعوة، الكويت تحقيق: أحمد حسن فرحات (ط1/ 1984).

الزرقا، أحمد بن الـ شيخ محمد، (ت: 1357هــ): **شرح القواعد الفقهية**، دار القلم، دمشق، (ط3/ 1993مـــ).

الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مناهـ ل العرفان في علوم القرآن**، تحقيـ ق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، (بلا ط/ 2001مــ).

الزمخشري، أبو القاسم جار الله ابن عمر الخوارزمي (ت: 538هــ): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** دار المعرفة (بلا ط/ ت).

زيدان عبد الكريم: **القصاص والديات في الـ شريعة الإسـ لامية**، مؤســسة الرســالة، بيروت، (ط1/ 1998مـــ).

ساسي: د. عمار: **المدخل الى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم**، عالم الكتب الحديث اربد عمان (ط1/ 2006مـ).

سانو، د. قطب مصطفى: **الاستثمار أحكامه وضوابطه،** دار النفائس الأردن، (ط1/ 2000مــ).

سـ ري، حـ سن: **الاقتصاد الإسـ لامي، مبادئ وخصائص وأهداف،** مركز الإسكندرية للكتاب (بلا ط/ 2005مــ).

سـ يد الأهـ ، عبـ د العـ زيز: **أسـ رار العبادات في الإسـ لام،** دار العلم للملايــن، بيروت (ط1/ 1972مــ).

السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هــ): **الإتقان في علوم القرآن** (بلا ط/ ت).

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت: 790هــ): **الموافقات في أصول الشريعة** المكتبة البخارية، مصر، (ط2/ 1975مــ).

شلتوت، محمود: **الإسلام عقيدة وشريعة** دار القلم، القاهرة، (ط2/ بلا ت).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الصنعاني (ت: 1250هــ): **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين** دار الكتب العلمية، بيروت (بلا ط/ ت).

الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير،** دار الصابوني، القاهرة (ط1/ 1997مــ).

الصلاّبي، د. علي محمد: **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القران الكريم،** دار الفجر للتراث، القاهرة (ط1/ 2003مــ).

الطبري، أبو جعفر محمد جرير، سنة 210هــ: **جامع البيان في تفسير القرآن،** دار المعرفة، بيروت (ط3/ 1978مــ).

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمه الأزدي المصري الحنفي (ت: 321هـ): **مشكل الآثار** دار صادر، بيروت، (ط1/ 1333هـ).

عاش ور، د. س عيد: **موس وعة ش عائر العبادات في الإس لام**، دار الغريـــب، القاهرة، (بلاط/ 2002مـــ).

عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (بلا ط/ ت).

عبده، محمد عبده بن حسن خير الله (ت: 1905مـــ): **تف سير المنار**، مطبعـــة المنار، مصر، (ط1/ 1346هـ).

العز بن عبد السلام عز الدين عبد العزيز السلمي: **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تعليق: عبد الرءوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط1/ 1968مـــ).

عفيفي، د. أحمد مصطفى: **استثمار المال في الإسلام** مكتبة وهبة، القاهرة، (ط1/ 2001مـــ).

العفيفي، ط ه عبد الله: **مـ ن وصايا الرسـ ول ﷺ**، دار المعرفـــة، الدار البيضاء، (بلا ط/ 1986مـــ).

عواد، محمد: **نور اليقين في معاني القرءان الكريم**، دار المقداد غزة، (ط2/ 2001مـــ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت: 505هـــ): **المستصفى من عالم الأصول** تحقيق: د. محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1/ 1997مـــ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت: 505هـــ): **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، مكتبة الكليات الأزهرية، (بلا ط/ ت).

الغزالي، محمد: **خلق المسلم**، دار الكتاب الإسلامية (بلا ط/ بلا ت).

الغزالي، محمد: **ركائز الإيمان بين العقل والقلب** الدار الشامية، بيروت، (ط4/ 1999مـــ).

الغزالي، محمد: **هذا ديننا** دار القلم، دمشق، (ط1/ 1997مـــ).

فاروق، حـ سني إيهاب: **مقاصـ د العقوبـ ة في الإسـ لام**، مركز الكتاب للنــشر، القاهــرة، (ط1/ 2006مــ).

الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز**، المكتبة العلمية، بيروت (بلا ط/ ت) تحقيق: محمد النجار.

القاسـ مي، محمد جمال الدين الدمشقي: **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**، دار الفكر، بيروت (بلا ط/ ت).

القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل** دار الفكر، بيروت، (ط2/ 1978مــ).

القرضاوي، د. يوسف: **الإيمان والحياة**، مؤسسة الرسالة، (ط1/ 1998مــ).

القرضـ اوي، د. يوسـ ف: **الخصائـ ص العامـ ة للإسـ لام**، دار المعرفــة، الدار البيضـــاء، (بلا ط/ 1990مــ).

القرضاوي، د. يوسف: **شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان** المكتب الإسلامي، بيروت، (ط1/ 1973م).

القرضاوي، د. يوسـ ف: **مدخل لدراسـ ة الـ شريعة الإسـ لامية**، مؤسـ سة الرسـ الة، بيروت، (ط2/ 1997مــ).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بلا ط/ 1965مــ).

قطب، سيد إبراهيم: **في ظلال القرآن** دار الشروق، بيروت (ط13/ 1987مــ).

قطب، سيد: **العدالة الاجتماعية في الإسلام** دار الشروق، بيروت، (ط6/ 1979مــ).

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ): **الكليات**، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط2/ 1993مـ).

المحلاوي، د. رمضان: **من أخلاق الإسلام**، مركز الكتاب للنشر، (ط1/ 2006مـ).

المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي** مكتبة الحلبي، مصر، (ط1/ 1946مـ).

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط2/ 1972مـ).

ملحم، د. أحمد سالم: **المعاملات الربوية في ضوء القرآن وال سنة** دار النفائس، الأردن، (ط1/ 2002مـ).

المناوي، محمد عبد الرؤوف: **فيض القـ دير شـ رح الجامع الصغير**، دار المعرفة، بيروت، (ط2/ 1972مـ).

موسـ ى، د. حمد يوسـ ف: **الإسـ لام وحاجة الإنـ سانية إليـ ه**، مكتبة الفلاح، الكويت، (ط3/ 1978مـ).

الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود الحنفي، (ت: 683هـ): **الاختيار لتعليل المختار**، دار المعرفة، بيروت، (ط3/ 1975مـ).

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: **معاني القرآن**، جامعة أم القرى، مكة، تحقيق: محمد علي الصابوني، (ط1/ 1409هـ).

الندوي، علي أحمد: **القواعد الفقهية** دار القلم، دمشق (ط3/ 1994مـ).

An Najah Natilnal University

Faculty of Higher Studies

The Mercy of God (quranic study)

Prepared by

Imran Izat Yusef Bkhit

Supervised by

Dr. Mehsen Sameeh Al Khaldi

This thesis is presented as a compilation to A Master degree in the Assets of religion in the Faculty of higher studies at An Najah National University /Nablus/Palestine

2009

The Mercy of God (quranic study)

Prepared by

Emran Izat Yusef Bkhit

Supervised by

Dr. Mohsen Sameeh Al Khaldi

Abstract

The mercy of God is one of the subjects that has been given so much importance by the Holy Quran to the extent that the vocabulary of this topics is found in almost all of the verses of it.

Every verse has come to uncover a bright side religion or to defend it against some misconceptions which claim that it is a religion of terrorism and violence.

Therefore ،this research consists of an introducation and four chapters.

In the first chapter ،I have talked about the definition of mercy both in language and in dictionary along with an explanation of the relationship between al rahem and mercy. Then ،I have talked about the equivalents to mercy in the Holy Quran.

In the second chapter I have talked about the reasons behind the mercy of God through reading verses from the Holy Quran in which I mentioned fifteen reasons for the mercy of God.

And in the third chapter ،I have talked about some of the aspected of the mercy of God and some representations of it in the Holy Quran.

I have also given some examples of this from acts of worship ،transactions and punishments in the Islamic Law.

In the fourth chapter ،I have concluded my research by talking about some of the things that hinder the mercy of God such as al shirk ،corruption sins and hypocrisy.